الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
مسار: تاريخ

الزوايا بفجيج في عهد السعديين (ق 10هـ/16م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماسترتخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين:
- غليب سعيدة
- الجيلالي بختة

إشراف الأستاذ:
موساوي مجدوب

أعضاء اللجنة

- دوبالي خديـجة. ..... رئيسا
- موساوي مجدوب ..... مشرفا
- بكـاري عبد القادر..... مناقشا

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م

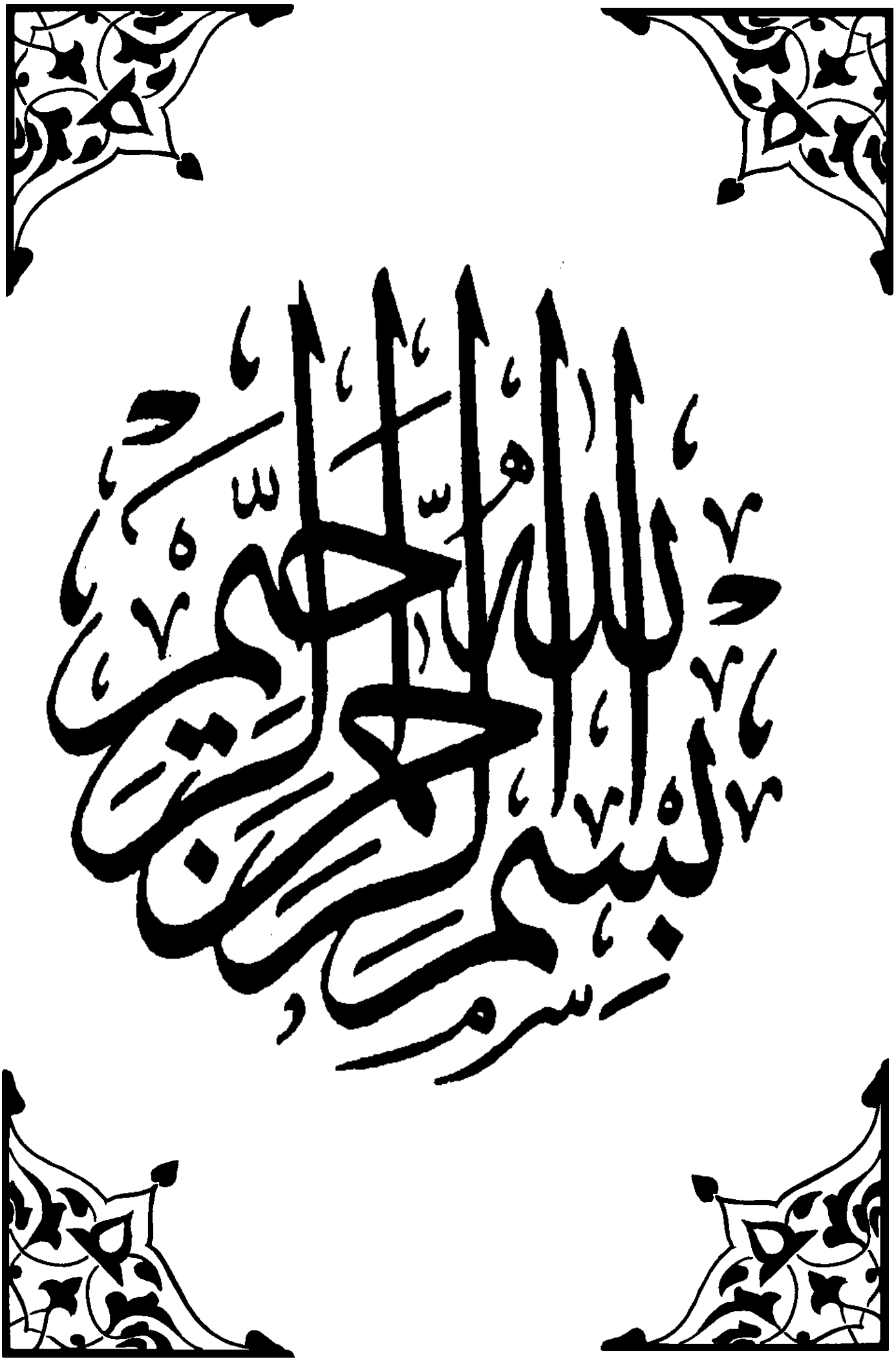
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ مِنَ المؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِر وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلَا﴾.

الآية 23 من سورة الأحزاب

قال رسول الله ﷺ:

"إنما مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة".

مسند الإمام أحمد 3/ 157

كلمة شكر وعرفان

- إن أول شكر يكون للأمجد الذي له نمجد وأيدينا له نمدد، فأجابنا ولم يخيبنا، إلى الواحد الأحد الذي كرمنا بنعمة العقل، وبث فينا روح الجدّ والمثابرة، فالحمد له كل الحمد، والشكر له، نعم المولى ونعم النصير.

- ثاني شكر وعرفان يكون للأستاذ المشرف " موساوي مجدوب " الذي شاركنا عناء العمل، ولم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة، والتي ذللت لنا الصعاب التي واجهتنا خلال مختلف مراحل البحث، فله منا جزيل الشكر والامتنان.

- كما نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الخالص لكل من: الدكتورة لزغم فوزية، الأستاذ مداح عبدالقادر، الأستاذ خنفار الحبيب والأستاذ شعلال إسماعيل.

- وفي الأخير نتوجه بالشكر الخالص لكل من مدَ يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد، ولو بكلمة طيبة في إنجاز هذا العمل المتواضع، والذي تمَ بفضل الله أولا، وبفضلهم ثانيا.

إهداء

- إلى الوالدين الكريمين، أطال الله في عمرهما...

- إلى إخوتي وأخواتي، وجميع الأصدقاء...

- إلى الذين جمعتني بهم الأيام، وفرقتني عنهم الأقدار زملائي في الدراسة، خاصة دفعة 2016م، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر...

- إلى الذين هم في قلبي ولم يخطوهم قلمي...

أهدي هذا العمل المتواضع.

سعيدة

إهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى:

- أمي الحبيبة وأبي الغالي

حفظهما الله وأطال في عمرهما.

- شموع حياتي أخي العزيز عبد القادر، وأختي الحنونة مسعودة.

- وإلى أولادهم: محمد أمين وميرال آية.

خاصة إلى: كريم وخليل.

- وإلى جميع من مدّ لي يدّ العون والمساعدة من قريب أو من بعيد.

بختة

قائمة المختصرات

1- المختصرات باللغة العربية:

ج: جزء

ط: طبعة

تح: تحقيق

تع: تعليق

تق: تقديم

تر: ترجمة

مج: مجلد

د.ت: دون تاريخ

د.ط: دون طبعة

د.ب: دون بلد

د.غ.إ: دار الغرب الإسلامي

ت: توفي

ص: صفحة

ص ص: تعدد الصفحات

هـ: الهجري

م: الميلادي

2- المختصرات باللغة الفرنسية:

Opéré Citato :Op.cit

Page :P

مقدمة

ممّا هو معروف لدّى عامّة الباحثين والمؤرخين أن للتاريخ مكانة هامّة في الكيان العلمي، الفكري والديني للإنسان، فمنه نحيط بأهم الأحداث التي مرّت بالإنسانية، والتي ساهمت بدورها الفعال في وضع تاريخها وحضارتها، ونظراً لأهمية التاريخ الثقافي أدرجنا موضوعنا تحت عنوان: "الزوايا بفجيج في عهد السعديين خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (10 هـ/ 16 م)".

لقد عرف المغرب الأقصى عامّة، ومنطقة فجيج خاصّة، مثل الكثير من البلدان الإسلامية انتشار العديد من المؤسسات الدينيّة، كالمساجد، الكتاتيب والزوايا، هذه الأخيرة تعتبر من أهم المعالم الحضارية الدينية، كونها مؤسسة إجتماعية، خيرية وتعليمة، والتي كانت منابع إشعاع حاربت الجهل والأمية، وأنارت العقول بالعلم والمعرفة ونشر الدين الإسلامي الصحيح.

لقد كان لقصور فجيج بالمغرب الأقصى نصيب من هذه المؤسسات، والتي أنشأت في كامل تراب المنطقة، والتي كان لها دور جدّ فعال في نشر العلم والمعرفة، إذ لاحظنا أن جلّ زوايا فجيج ومنذ نشأتها الأولى حملت عبء في عملية إصلاح الأوضاع الإجتماعية السائدة في المنطقة، وكذا غرس قيم الأخلاق في المجتمعات معتمدة في ذلك على كتاب الله –عزوجل– وسنة رسوله –ﷺ– والتي من أجلها وجدت هذه المؤسسات.

لقد مثلت منطقة فجيج منذ الفتح الإسلامي مركز إشعاع فكري، خاصّة خلال القرن الهجري العاشر، السادس عشر الميلادي (10 هـ– 16م) حيث تعددت بها مراكز العلم وكثرت بها الزوايا بأنواعها وأشكالها، والتي استمر التعليم بها حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي (12 هـ– 18م).

إن انتشار الزوايا بفجيج وتكاثرها جعلها محطة أنظار الأئمة، الأدباء والطلبة، حيث اكتظت بالمريدين والأتباع خاصّة مع ظهور كوكبة من كبار العلماء والشيوخ نزعوا مخلصين إلى نشر العلم والمعرفة وتنقية العقول من البدع الضالة والأعراف الفاسدة، ما مكن من خدمة أغراض إجتماعية، دينية وعلمية مختلفة في عصر عزت فيه مصادر العيش على الكثيرين، فكانت مأوى المحتاجين وبقية طالبي العلم والمنقطعين للعبادة.

أما بالنسبة للإطار الزماني والمكاني لهذه الدراسة فقد تم اختيار منطقة فجيج كمكان للدراسة باعتبارها مركز إشعاع علمي وفكري منذ الفتح الإسلامي، أما الزمان فكان خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (10 هـ- 16م) لأن هذه الزوايا عرفت أوج نشاطها في هذه الفترة.

وبشأن الدراسات السابقة ففي الحقيقة أن هذا الموضوع لم يحظى بالدراسة الكافية من قبل، وفي الواقع هناك الكثير من المؤرخين والباحثين الذين كتبوا حول تاريخ فجيج وزواياها كتابات عامّة، لكنهم لم يفصلوا فيها، الأمر الذي شجعنا على المضي قدما في هذه الدراسة، وبالتالي الإسهام ولو بالقليل في إلقاء الضوء على هذه الحقبة المهمة في تاريخ زوايا قصور فجيج.

أما بالنسبة لدوافع اختيارنا لهذا الموضوع، فيعتبر القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (10 هـ- 16 م) من أهم فترات الإزدهار الحضاري لكافة البلدان الإسلامية، وذلك لغنى هذه الفترة بالتطور الثقافي والتغيرات الإقتصادية والإجتماعية، والأمر الذي شغل أذهاننا منذ أمدّ بعيد هو أن مختلف الدراسات التي أنجزت حول البلاد الإسلامية عامّة، ومنطقة فجيج خاصّة تعلقت بمجالات سياسية أكثر منها حضارية وأخلاقية، وأن الباحثين لم يتطرقوا إلى الجانب الديني، واكتفوا بالجانب السياسي والعسكري.

- والجدير بالذكر والملاحظة هو أن خلال دراستنا هذه وجدنا نقصًا كبيرًا في هذا الجانب مقارنة مع ما تزخر به المصادر والمراجع التي تعكف على تحليل الظواهر السياسية للأحداث دون الإلمام بالجوانب الحضاريّة، الفكريّة والدينيّة خاصّة تلك المواضيع التي مازالت بحاجة إلى البروز والتحليل، هذا من أولى أسباب إختيارنا لهذا الموضوع.

- حُبّ التطلع إلى معرفة خبايَا تاريخ وخاصيّة مؤسسات الزوايا بواحة فجيج.

- أن الموضوع جديد ولم يحظى بالدراسة الكافية من قبل.

- إبراز المستوى العلمي والفقهي للسادة الصوفيّة ودورهم اتجاه المجتمع والردّ على المتشككين في أقوالهم، وعلى ما كانوا يقومون به من دور اتجاه الأمّة الإسلامية في شتى الميادين.

ولدراسة هذا الموضوع انطلقنا من الإشكالية التالية:

– إلى أي مدّى يمكن اعتبار أن الزوايا في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصّى قد أدت دورًا كبيرًا في نشاط الحركة العلمية؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة تفرعات وهي:

– ما كان موقف الفجيجيين من زحف الدين الإسلامي للمنطقة؟

– ما مدّى مساهمة الزوايا في نشر الوعي الديني في منطقة فجيج؟

– هل كان لزوايا قصور فجيج تأثير على المجتمع المغربي؟

– هل كان لهذه الزوايا أدوار ناجحة في مواجهة جحاف المستعمر الصليبي؟

– ما هي أهم العلوم التي كانت تدرس بزوايا فجيج؟

– ما دور مشايخ الزوايا بنشر الدين الإسلامي بواحة فجيج؟

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الذي يتناسب مع طبيعة الموضوع، والذي يعتمد بالدرجة الأولى على جمع المعلومات التاريخية وانتقائها، ثم تحليلها ومناقشتها ونقدها ومن ثمّ محاولة الوصول إلى الحقيقة.

ومن أجل دراسة هذا الموضوع وطبيعة حيثياته، كان لابدّ من معالجة كل جوانبه مع الأخذ بعين الإعتبار بأن محاولة كهذه سوف تواجهها العديد من الصعوبات من جملتها:

– اختلاف آراء المؤرخين والنسابين السلف منهم والخلف حول تفاصيل بعض الأحداث خاصّة فيما يتعلق بتحديد سنوات الميلاد والوفاة، فحاولنا تجنب التقليد ما استطعنا ونسأل الله أن نكون قد وفقنا في ذلك.

– وممّا يزيد من صعوبة البحث كونه يمتاز بتكرار نفس المادة التاريخية في مجمل المصادر والمراجع المعتمد عليها، ممّا حال دون التنويع في سرد الوقائع التاريخية، مع العلم بأن المصادر التاريخية المختصة تميزت في الكثير من الأحيان بالإختصار وعدم الدّقة، خاصّة في تراجم بعض السادة الصوفية، وممّا هو جدير بالذكر هو إغفال وإهمال المؤرخين والنسابين في ذكر لمحات ولو موجزة عن حياة بعض الشيوخ، وضعتنا أمام صعوبات تاريخية انعكست باستمرار على أعلام العلم الأدب والتصوف بقصور فجيج.

وقد اقتضت طبيعة موضوع دراستنا أن نعمد إلى خطة شاملة تستوفي عناصره، فجعلنا الهيكل العام مكوناً من مقدمة، فصل تمهيدي وفصلين رئيسيين، ويتلوها خاتمة لرصد نتائج الدراسة، هذا إجمالًا، أما بالتفصيل فكانت كالآتي:

الفصل التمهيدي وقد تناولنا فيه التعريف بمؤسسة الزاوية، أصلها ونشأتها التاريخية، كما تطرقنا إلى الهيكل التنظيمي لهذه المؤسسة، ثم دورها ونظامها التعليمي.

وفيما يخص الفصل الأول فقد كان حديثنا فيه عن قصور فجيج جغرافيا وتاريخيا، وذلك من خلال إعطاء صورة للواحة في الخريطة الجغرافية، وكذا إعطاء لمحة عن الخلفية التاريخية لهذه المنطقة منذ الفترة القديمة إلى غاية القرن الهجري العاشر، السادس عشر الميلادي (10 هـ- 16 م)، وآخر نقطة في هذا الفصل فقد خصصت لدراسة الحياة الإقتصادية بقصور فجيج في عهد السعديين.

أما الفصل الثاني فقد دار فيه الحديث عن حياة بعض مؤسسي الزوايا بقصور فجيج قصد التعرف على مكانتها وتأثيرها على المجتمع الفجيجي، ثم أعقبنا حديثنا عن أهم الزوايا بهذه المنطقة، متطرقين بعد ذلك إلى أدوار هذه الزوايا ومصادر تموينها.

وأنهينا هذه الدراسة بخاتمة موجزة تمّ فيها عرض أهم النتائج المتوصل إليها وما يمكن أن تنتجه من آفاق لدراسة مواضيع متصلة بها، ثم دعمنا دراستنا هذه بمجموعة من الملاحق.

ولا بدّ قبل ختام هذه المقدمة أن نذكر أننا اعتمدنا على عدّة مصادر مخطوطة وأخرى مطبوعة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1/– المصادر العربية المخطوطة:

– ابن أبي محلي أبو العباس أحمد بن عبد الله بن القاضي السجلماسي العباسي:

* إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر، والذي أفادنا في التعرف على الجانب السياسي للشيخ عبد القادر بن مُحَّد وعلاقته بابن أبي محلي.

* مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس النفوس السفلة المنخدعة، والذي أفادنا في التعرف على شخصية ابن أبي محلي خاصّة فيما يخص ادعائه المهداوية، ومناداته بالخلافة الإسلامية.

2/ المصادر العربية المطبوعة:

– عبد الرحمان ابن خلدون(ت 808هـ/ 1405م) في كتابه "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، والذي يعتبر من أهم المصنفات التاريخية التي غطت الأوضاع السياسية، الإقتصادية، العسكرية، الإجتماعية والحضارية للدول والمجتمعات والقبائل منذ الأزل البعيد والذي أفادنا في التعرف على بعض القبائل العربية والتي تحدث عنها بشكل مفصل.

– أحمد ابن أبي بكر السكوني في كتابه "تقوية إيمان المحبين في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن مُحَّد بن أبي سماحة، والذي يعتبر من أهم المصادر المغربية التي ألفت لتاريخ منطقة فجيج وأئمتها وشيوخها، والذي أفادنا في التعرف على الشيخ والولي الصالح عبد القادر بن مُحَّد، وكذا في حديثنا عن زاوية سيدي الشيخ.

– إضافة إلى كتاب "وصف إفريقيا" بجزئيه الأول والثاني لصاحبه حسن بن مُحَّد الوزان الفاسي، وكتاب "إفريقيا" لصاحبه مارمول كربخال واللذان أفادانا في التعريف ببعض المدن التي وردت في هذا

الموضوع، بالإضافة إلى كتاب "معجم البلدان" في جزئه الرابع لمؤلفه ياقوت الحموي، والذي يعتبر من أهم الموسوعات الجغرافية، والذي لا غنى عنه للباحث في قسم التاريخ والجغرافيا عند تحقيق أسماء البلدان والأقاليم والمعالم الجغرافية، هو الآخر أفاد دراستنا هذه في تحقيق وتعريف أسماء بعض المدن، والأماكن التي وردت في صلب الموضوع.

3- المراجع العربية المطبوعة:

- بنعلي مُحَمَّد بوزيان:

1- "واحة فكيك تاريخ وثائق وأعلام" والذي يعتبر جزء من تاريخ هذه المنطقة، يمنح الفرصة للقارئ والباحث أن يكشف على هذه الواحة بتضاريسها الجغرافية، وجانبها السياسي، الإجتماعي والثقافي، والذي أفاد موضوعنا هذا في التعرف على الخلفية التاريخية والجغرافية لمنطقة فجيج، وكذا في معرفة التركيبة السكانية لهذ المنطقة، كما اعتمدناه -كذلك- في التعرف على الحياة لإقتصادية لقصور هذه الواحة في عهد السعديين، كما أعطى لنا نظرة واضحة حول زاويتين: زاوية عبد الجبار وزاوية سيدي الشيخ.

2- "فجيج في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع" والذي اعتمدناه في توضيح الدور السياسي للولي الصالح سيدي الشيخ وكذا في التعرف على بعض العلوم التي كانت تدرس بزوايا فجيج.

- "فجيج تاريخ وثائق وأعلام-المسجد العتيق والصومعة الحجرية بفجيج" لصاحبه هلالي العربي، هو الآخر يعد من أهم الكتب المحلية التي ألفت لتاريخ قصور فجيج منذ القديم، والذي أفاد الدراسة في التعرف على الخلفية التاريخية للمنطقة.

- مزيان أحمد في كتابه "فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر 1845- 1903م" والذي يعتبر من أهم الدراسات المغربية التي أولت اهتماما كبيرا بتاريخ فجيج، والذي ساعد دراستنا هذه في التعريف بقصور فجيج جغرافيا.

– إضافة إلى كتاب "تذكرة الخلان في مناقب العلامة سيدي الشيخ سليمان بن أبي سماحة البكري الصديقي المتوفى سنة 946هـ- 1540م" لصاحبه طواهرية عبد الله، والذي أفادنا في التعرف على الفقيه سيدي الشيخ وزاويته.

4- المراجع الفرنسية المطبوعة:

- Rinn Louis في كتابه Khouans et Marabouts وكتاب Les Confréries Religieuses Musulmanes لـ Octave Depont و Xavier Coppolani اللذان يعتبران من أهم المراجع الفرنسية التي تحدثت عن الطرق الصوفية، واللذان أفادانا في التعرف على الطريقة الشيخية.

5- الدراسات الأكاديمية:

– أما بشأن الدراسات الأكاديمية فقد كان اعتمادنا بالدرجة الأولى على رسالة ماجستير موسومة بـ "المنهج التربوي للعلامة سيدي الشيخ" لحدة تومي، والتي أفادت الدراسة في التعرف على الزاوية الشيخية.

– إضافة إلى أطروحة دكتوراه بـ " التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربعة منه" لصاحبها تراسول أبو الخير، والتي إعتمدنا عليها في التعرف على مؤسسة الزاوية وبعض المصطلحات الصوفية.

6- الدوريات: – أما بالنسبة للدوريات والمقالات فقد اعتمدنا على مقال وحيد بعنوان "الزاوية الشيخية دورها الديني والعسكري (1875- 1908)" لصاحبه بودواية مبخوت، والذي أفادنا في التعرف على مؤسسة الزاوية.

وفي الأخير لنا الداعي من دراستنا هذه أننا أخذنا بمجامعها إذ كثير من الجوانب مازالت ناقصة، فقد ينطبق علينا قول الأصفهاني: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه؛ إلاّ وقال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولا زيد لكان يستحسن، ولو قدم لكان أفضل ولو ترك لكان أجمل وهذا من أعظم الصبر، وهو دليل على استيلاء النقص على البشر.

وحسبنا أن يكون أملنا من دراستنا إضافة علمية جديدة لحقل البحث العلمي وأن نكون قد وضعنا للباحثين والمهتمين والدارسين لبنة أساسية عنها، والتي لا بدّ من المزيد من البحث والنظر فيها قصد الكشف عن الكثير من خصوصياتها.

الفصل التمهيدي

ماهية مؤسسة الزاوية

أولا: التعريف بمؤسسة الزاوية

أ- لغة

ب- اصطلاحا

ثانيا: أصل الزاوية ونشأتها التاريخية

ثالثا: دور ونشاط مؤسسة الزاوية

رابع: الهيكل التنظيمي لمؤسسة الزاوية

أ- الشيخ

ب- المقدم

ج- الوكيل

د- المريدون

هـ- هيئة التدريس

و- هيئة الخدمات

خامسا: نظام الزاوية كمؤسسة تعليمية

أ- الإلتحاق بالزاوية

ب- منهج الدراسة

ج- مراحل الدراسة ومعارفها

لقد تزامن القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (10 هـ –16 م) مع انتشار الزوايا، إذ كان لهذه المؤسسة الدينية في تاريخ مغربنا الإسلامي عامّة، والمغرب الأقصى خاصّة دور عظيم في انتشار الإسلام والدعوة له، ضّف إلى ذلك أثرها البليغ الذي تجلّى على الصعيدين: الديني والجهادي، وهو دور لا يمكن لأي كان أن ينكره أو يتجاهله، أو يقلّل من أهميته وآثاره في عمق تاريخنا الإسلامي.وسنحاول من خلال هذا الفصل أن نتعرف على ماهيّة مؤسسة الزاوية.

أولا: التعريف بمؤسسة الزاوية

تعتبر مؤسسة الزاوية من أهم المعالم الحضارية والدينية، كونها مؤسسة اجتماعية، خيرية، تعليمية وخزائن للكتب[1]، ومعاقل لتحصين الرجال، وتمرينهم على الجهاد، حيث أشرف عليها رجال صلحاء ومتصوفة عضات، إذ كانت كل مدينة أو قريّة صغيرة محروسة بولي من أولياء الله الصالحين[2].

لقد كان لمنطقة فجيج[3] بالمغرب الأقصى نصيب من هذه المؤسسات، التي أنشأت في كامل تراب المنطقة، ومنها ما يزال قائما إلى يومنا هذا، والتي يعود تاريخها إلى القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (10هـ- 16م).

من أبرز مميزات العهد السعدي في المغرب الأقصى انتشار الزوايا، حيث عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم، ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد، وقد اختاروا بذلك العزلة والعبادة، مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا، وكثيرا ما كانوا يعلمون المريدين والعامّة مبادئ الدين الإسلامي.فكان إذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس مركزا خاص به- ولا دخل للحكومة في إنشائها[4]- يطلق عليها

1 الطاهر البونابي.**التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12 و13 الميلاديين نشأته– تياراته– دوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر، 2004 م، ص 223.

2 أبو راس الناصري.**عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تح بوركبة محمّد، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012 م، ص 47.

3 سنتعرف لاحقا وبنوع من التفصيل على فجيج.

4 أبو يعلي الزواوي.**تاريخ زواوة**، تع إسماعيل بوراي، مطبعة الديوان، الجزائر، 2007 م، ص 55.

إسم زاوية، وغالبا ما كانت الزاوية تنسب إلى صاحبها[1].

لقد كثرت وتعددت مفاهيم الزاوية، وسنحاول من خلال هذا العمل المتواضع أن نتطرق إلى أهم تعاريف هذه المؤسسة.

أ- الزاوية لغة: مشتقة من الفعل انزوى، بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للإعتكاف والتعبد[2]، فالزاوية جامعة لكونها تجمع العباد لإقامة شعائر الدين الحنيف، وعلى ذكر الله ورسوله[3]، إذ كانت العرب قديما تقول: "تزاوى القوم"، أي تضامنوا في بقعة لغرض ما من أغراض الحياة، ومنه فاللفظ مشتق من الفعل انزوى[4]، ومعناه الإنعزال والإنفراد[5].

ب- اصطلاحا: هي ذلك البناء الصغير الذي يشبه المسجد من حيث وجود محراب، تؤدى فيه الصلاة أحيانا، ولكن يختلف عن المسجد الجامع، والذي له دور تعبدي باعتباره مكانة للعبادة، حيث جمعت الزاوية بين الوظيفة التعليمية، التربوية والدينية[6].

لعل أقدم تعريف للزاوية هو ما وردّ عند ابن مرزوق الخطيب[7] في كتابه "المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن" في قوله: "هي المواضع المعدّة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين"، ثم

1 سعد الله أبو القاسم.**تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري 16- 20 م**، ج1، ط.2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 م، ص 262.

2 حسن إبراهيم حسن.**تاريخ الإسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي**، ج4، ط.4، مكتبة النهضة المصرية، 1967م، ص 423.

3 رفيق العجم.**موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، ط.1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، 1999 م، ص 435.

4 عبد المنعم القاسمي الحسني.**الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، ط.1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434 هـ - 2013 م، ص 681.

5 صفية ديب.**التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين بين القرن 6 و7 هـ الموافق 12 – 13 م**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 م، ص 253.

6 عبد الكريم عزوق.**الآثار الإسلامية ببجاية إحصاء وجرد وتحليل**، ط.1، مؤسسة الضحى، الجزائر، 1434 هـ - 2013 م، ص 113.

7 هو مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني، شمس الدين أبو عبد الله، عرف بالخطيب، ولد بتلمسان سنة 711 هـ – 1310 م، تقدم في بلاده وتمهر في العربية والأصول والأدب، سمع من أبي زيد بن الإمام وآخرون، وتولى الخطابة بتلمسان، الأندلس والقاهرة، التي أقام بها إلى وفاته سنة 781هـ- 1379 م.الحسني، المرجع السابق، ص 681.عبد المنعم القاسمي الحسني.**أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى (دراسة إحصائية تحليلية)**، ط.1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 1427 هـ- 2005 م، ص 296.

ذكر أن الزاوية هي ما يعرف في المشرق بالرباط[1].

تعرف الزاوية –كذلك– على أنها بناء قديم ذات طابع ديني، وهي ركن البيت أو الحجرة[2].كما يقصد بها–أيضا–المسجد الصغير، يوجد بها غرف للصلاة وضريح[3] لأحد المرابطين أو الأشراف، تعلوه قبة، أو حتى مجموعة من الأضرحة لنفس العائلة، وبها أيضا قاعدة لتلاوة وتحفيظ القرآن، وبها غرف للضيوف، ولعابري السبيل[4].

يطلق اسم زاوية –أيضا– على الطريقة[5] الصوفية فيقال: الزاوية الدرقاوية[6]، القادرية[7]، أو الزاوية الشيخية[8] إلى غيرها، وبذلك شملت التسمية الطريقة من جهة، ومقر تجمعها من جهة أخرى[9].كما تعتبر مؤسسة الزاوية منبع للعلم والفكر، وفي نفس الوقت هي منبع للصفاء الروحي

1 مُحَمَّد مرزوق التلمساني.**المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح ماريا خيسوس بيغيرا، تق محمود آغا بوعيّاد، الموفم للنشر، الجزائر، 2011 م، ص 411.

2 مفتاح خلفات.**قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 6 – 9 هـ/ 12 – 15 م دراسة في دورها السياسي والحضاري**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 174.

3 لغة مشتقة من الفعل ضرح، ويعني القبر، وجمعه أضرحة، وهي المبنى الذي يقام على قبر الميت، أما اصطلاحا: فيقصد به المكان الذي يدفن فيه الولي الصالح، أما بالنسبة للشكل العام للضريح عبارة عن حجرة مغطاة بقبة، ويطلق عليه عدة ألفاظ كالمشهد، المقام....عزوق، المرجع السابق، ص ص 87، 92.

4 مبخوت بودواية.**الزاوية الشيخية دورها الديني والعسكري (1875– 1908)**، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، طبعة خاصة، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007 م، ص 131.

5 وهي منبع يرسمه الشيخ لمريده، يحدد فيه شروط الطريقة ومنهجها، ويلزم بها أتباعه على إتباعها، ويرتبطون بشيخهم حيّا أو ميتًا، وذلك بواسطة وردَ من الأذكار يقوم به المريد بإذن من شيخه، ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ، وهذا العقد يعرف عند الصوفية بالعهد. ليلى بنت عبد الله.**الصوفية عقيدة وأهداف**، ط.1، دار الوطن للنشر، الرياض، رمضان 1410 هـ، ص 32.

6 من الطرق الصوفية المعروفة على مستوى المغرب الإسلامي، تنسب إلى مؤسسها الشيخ مُحَمَّد العربي بن أحمد الدرقاوي الإدريسي، مركزها الرئيسي في بوبريح من بني زروال بضواحي مراكش، يجتمع فيها أتباع الطريقة الشاذلية.صلاح مؤيد العقبي.**الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، لبنان– بيروت، 2002 م، ص 230.

7 أقدم الطرق الصوفية تأسيسا، وأولها ظهورا على مستوى العالم الإسلامي، تنسب إلى الشيخ الأكبر عبد القادر الجيلاني، وقد كان للزاوية القادرية نشاط كبير في نشر الإسلام، ودور عظيم في حمل راية الجهاد والمقاومة، دفاعا عن الإسلام والمسلمين.عبد العزيز بن عبد الله.**معلمة التصوف الإسلامي (التصوف المغربي خواص ومميزات)**، ج1، دار نشر المعرفة، الرباط– المغرب، 2001 م، ص ص 252–253.

8 سنتعرف لاحقا وبنوع من التفصيل على الزاوية الشيخية.

9 عبد القادر خليفي.**الطريقة الشيخية**، ط.2، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 2010 م، ص 53.

والزهد، والسمو النفسي والإرتقاء في الكمالات الإنسانية[1]، فهي بذلك تُحاري المساجد والمدارس، إذ نجّد الكثير من العلماء والمشايخ يتنافسون في إقامة الزوايا، لما فيها من أجر وثواب عظيمين[2].

هناك تعريف آخر للزاوية يقول: "هي تلك البناية الثقافية الدينية[3]، والتي هي عبارة عن مجموعة من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام، وتشمل على غرف للصلاة، غرف لتعليم العلوم العربية، وأخرّى لسكن الطلبة، طهي الطعام وتخزين المواد الغذائية...الخ"[4].

أما بشمال إفريقيا فيطلق لفظ زاوية على تلك المدارس الدينية المخصصة للعلم[5]، فليس غريب أن تتزعم بذلك الحركة العلمية، الدينية، والأدبية في البادیّة المغربية، فمؤسسة الزاوية كما نصّ على ذلك الكثير من الباحثين والمؤرخين لها صيت عظيم[6].

أما الزاوية بالمعنى الصوفي فهي الخلوة[7]للعبادة، يقيم فيها الشيخ الصوفي، حيث يؤدي فيها صلواته الخمس، ويعتكف فيها للعبادة والأوراد، كما يلتف حوله الطلبة والمريدين للأخذ عنه والسير في نهجه

1 عبد القادر رباجي.**الإمام المغيلي عمره وحياته دراسة تاريخية تحليلية وتوثيقية**، ج1، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011 م، ص ص 95– 96.

2 مبارك بن الصافي الجعفري.**العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12 هـ**، جزء واحد، ط.1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 1430 هـ– 2009 م، ص 134.

3 عبد العزيز فيلالي.**تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية**، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الموفم للنشر، الجزائر، 2007 م، ص ص 148– 149.

4 أحمد بحري.**الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الإجتماعية إبان الحقبة العثمانية**، ج1، دار الكفاية، الجزائر، 2013 م، ص ص 83– 84.

5 عبد المنعم القاسمي الحسني.**زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862– 1962 م دراسة سويسو– ثقافية تاريخية**، ط.2، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434 هـ/ 2013 م، ص ص 149 – 150.

6 أحمد الطريبق أحمد.**الكتابة الصوفية في أدب التستاوي 1045 – 1127 هـ**، ج3، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة إليت ، المملكة المغربية، 1424 هـ/ 2003 م، ص 662.

7 لغة مصدر خلا، يخلو وخلوة، إذ انفرد بنفسه عن غيره من سائر الناس، وفي اصطلاح الصوفية هي الانفراد بإذن الشيخ، وتحت رقابته ورعايته، لمدة لا تزيد عن الأربعين ليلة، ولا تقل على عشرة ليال، وذلك اشتغالا بالعلم والتعبد.أبو بكر جابر الجزائري.**إلى التصوف يا عباد الله**، دار البصيرة، الإسكندرية، 1404 هـ– 1990 م، ص 58.حسن الشرقاوي.**معجم ألفاظ الصوفية**، ط.1، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987 م، ص 107.أبو الخير تراسول.**التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربعة منه**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، تخصص العقيدة، إشراف عبد العزيز بن عبد اللطيف المرشدي، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ– 2002 م، ص ص 406 – 407.

كما يتلقون عنه طريقته في التصوف[1]، ومختلف فنون المعرفة[2].

كما عرفت الزاوية –أيضا– أنها مؤسسة لرؤساء طرق الصوفية[3]، بدليل أن مؤسسوها رجال دين متصوفون ومتزهدين، يجتمع فيها المريدون لتلقي الأوراد والأذكار، ويتخذ منها مأوى لطلبة القرآن الكريم، والعلم والاستفتاء والصلح بين المتخاصمين، لما لها من شأن عظيم، ووجودًا اجتماعيًا قويًا[4].

لمؤسسة الزاوية مفهوم آخر يقول: أنها مكان المبادرة الفردية العفوية، وهي الركن الذي يلجأ إليه الشخص لممارسة الحياة الباطنية.وتعرف الزاوية –كذلك– على أنها مرحلة وسطى بين الكُتاب وهو مرحلة ابتدائية، والمدرسة والتي هي عبارة عن معهد ثانوي[5].

أما عن شكل مورفولوجيتها فهي عبارة عن مجموعة من الأبنية المتلاصقة، يتوسطها صحن كبير، هذا الأخير تتوسطه فوارة، وتتكون الزاوية عادة من مجموعة غرف لمبيت الطلبة، وأخرّى للتدريس، إضافة إلى خزائن للكتب، والجامع، ثم المرافق العامّة، وهذه المواصفات تنطبق على زوايا منطقة فجيج[6] المتميزة بالبساطة في الشكل، إذ لا فرق بينها وبين دور السكن التي احتفظت بخصائص النموذج الأصلي الذي استوحى تصميمه الهندسي من البيئة الصحراوية، فهي أيضا تتكون من طبقتين سفلى وعليا، يتوسطها فصيح مكشوف للسماء، ومحاط بسواري من جهاته الأربع، ثم

1 ياسين بودريعة.**أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث، إشراف عائشة غطاس، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة بن يوسف بن خدة، 2006 – 2007 م، ص 17.

2 سميرة لطرشي.**إسهامات الزوايا الرحمانية في الحركة الوطنية خلال القرن 19 م – زاوية الهامل وبعض زوايا بسكرة نموذجا**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الله مقلاتي، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة المسيلة، 2012 – 2013 م، ص 20.

3 لحسن بلة وحمزة بن دحان.**التصوف والزوايا في إقليم توات زاوية سيدي أحمد ديدي دراسة نموذجية**، مذكرة تخرج لنيل شهادة أستاذ التعليم الثانوي، إشراف مبارك بوطارن ، قسم التاريخ والجغرافيا، بوزريعة، 2007 – 2008 م، ص 35.

4 سعاد فويال.**المساجد الأثرية لمدينة الجزائر**، دار المعرفة، الجزائر، 2010 م، ص 14.

5 بشير بوعنتو.**التصوف في الجزائر دراسة وصفية تحليلية للطرق الحبيبية والهبرية والرحمانية والأويسية**، ج1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003 م، ص 297.

6 سنتعرف لاحقا وبنوع من التفصيل على فجيج.

إنها مجهزة بسائر المرافق الضرورية التي تضمن راحة النزلاء والرواد[1].

أما عن تسمية الزاوية بهذا الإسم، فإنها جاءت إما لانزوائها عن المدينة، باعتبار أن العديد منها كانت في مناطق قروية، أو في إحدّى أركان أو أطراف المدينة[2]، في حين يذهب الكثير من المؤرخين والنسابين إلى أن الزاوية سميت بهذا الإسم لأن الذين فكروا في بناءها أول مرّة كانوا من المتصوفة والمرابطين، اختاروا الإنزواء والإنعزال بمكان بعيد عن صخب العمران، للإعتكاف بجوّ العبادة والذكر، وهي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وجدّت الزاوية[3].

يمكن تقسيم مؤسسة الزاوية التي نشطت بقصور فجيج[4] خلال القرن الهجري العاشر، السادس عشر الميلادي (10 هـ- 16م) إلى نوعين اثنين هما:

أ- زوايا علمية: التي لم يكن لها من همّ إلاّ نشر العلم، المعرفة والسنة الصحيحة، وإصلاح المجتمع وتربيته تربية صالحة، ومن أهم الزوايا العلمية نجدّ: زاوية بني عبد الجبار[5].

ب- زوايا صوفية: عملت على تربية المريدين المنقطعين للعبادة والذكر، فكوّنوا لأنفسهم قاعدة بشريّة عريضة جلّها من العامّة، ومن أهم الزوايا الصوفية التي نشطت بفجيج نذكر: زاوية سيدي الشيخ[6].

لم يكن بين نشاط النوعين حدود جوهرية، فقد أخذت الزوايا العلمية من التصوف السني نصيب غدَا معه أربابه علماء لهم في سماء التصوف طالع مبين، كما أخذت الزوايا الصوفية تنشر العلم بين مُريديها، مكتفية في غالب الأحوال بالعلوم الدينية[7].

1 محمّد بوزيان بنعلي.**واحة فكيك تاريخ وأعلام**، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1407 هـ – 1987 م، ص ص 153 – 154.
2 لطرشي، المرجع السابق، ص 20.
3 العقبي، المرجع السابق، ص 301.
4 سنتعرف لاحقا وبنوع من التفصيل على قصور فجيج.
5 سنتعرف لاحقا وبنوع من التفصيل على زاوية عبد الجبار.
6 سنتعرف لاحقا وبنوع من التفصيل على زاوية سيدي الشيخ.
7 محمّد بوزيان بنعلي.**فجيج في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع**، طبعة الجسور، وجدّة، 2005 م، ص 28.

ثانيا: أصل الزاوية ونشأتها التاريخية

يذهب الكثير من الباحثين والمؤرخين إلى أن الزاوية كانت في أصل رباطاً، تحول مع مرور الوقت إلى زاوية، وممّا هو معروف لدّى العام والخاص أن للرباط في تاريخ الإسلام مكانّة مقدسة[1]، إذ هو عبارة عن ثكنة عسكرية وأمنية تحمي الثغور الإسلامية من أي خطر خارجي؛ كالحملات الصليبية على أرض الإسلام[2].

كانت كلمة رباط في الشرق الإسلامي تعني المكان الذي يرابط فيه المسلمون للدفاع عن بلادهم[3]، وقد استبدلت فيما بعد بكلمة ثغر، ليتجسد بعدها في شمال إفريقيا بمضمون آخر ألّا وهو المكان الذي يتم الإعتزال فيه قصد العبادة والذكر[4].

لقد كان الرباط ملتقى الرجال وحتى النساء الذين أوقفوا حياتهم لذكر الله – عزوجل – ورسوله في هذه الرباطات التي كانوا لا يبرحونها إلّا للجهاد في سبيل الله، وصدّ العدو الطامع في بلاد الإسلام، بالإضافة إلى هذا كانوا يتلقون داخل هذه الرباطات تربية روحيه عالية تغرس في المرابط[5] مكارم الأخلاق، وتوجهه نحو الفضائل، وتبعده عن الرذائل، كما تبعده عن اقتحام مواطن الهلكة، والانغماس في حمأة الشهوات وملذات الدنيا، وفي المقابل تعوده على حُبّ التضحية والفداء في سبيل الواجب، والتفاني في خدمته، ولهذه الأغراض الشريفة كانت الرباطات ملتقى المئات والآلاف من رجال العلم والمعرفة والأدب، يتنافسون إليها ليفوز كل واحد منهم بمكان فيها، وفي مقدمة هؤلاء كان المتصوفة، الذين وجدّوا في هذه الرباطات ما يتمنونه من حلاوّة الإنقطاع للتعلم والتعليم،

1 العقبي، المرجع السابق، ص 217.

2 كفاح جرار.**زوايا ثائرة من اللوحة والقلم إلى البندقية**، ط.1، منشورات الأنيس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012 م، ص 18.

3 احميدة عميراوي.**من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، ط.2، دار الهدى للطباعة والنشر، 1427 هـ – 2007 م، ص 23.

4 مُحَمَّد ضريف.**مؤسسة الزوايا بالمغرب**، ط.1، منشورات المجلة المغربية لعلم الإجتماع السياسي، 1992 م، ص 33.

5 غالبا هو فقيه وهب نفسه للدفاع عن بلاد المسلمين، مع قيامه بمجاهدة النفس عن طريق العبادة والزهد في مباهج الدنيا والدعاء لدفع البلاء عن البلاد، كما كان هؤلاء يقومون بمهمة التعليم من خلال تعليم الطلبة مبادئ الكتابة، حفظ القرآن، الفقه...الخ. خليفي، المرجع السابق، ص ص 43 – 44.

ومن لذّة الخلوّة، والإعتكاف ومتعة التجرد للعبادة والذكر والتأمل ما لم يجدوه في غيرها من الأماكن الأخرى[1].

لقد اكتظت الرباطات من نخبة من أبناء المسلمين، حيث عرفت ابتداء من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي (4 هـ – 10م) تحولا كبيرا، إذ لم تعد مهمتها تقتصر على العبادة والجهاد، بل تعدت ذلك وأضحت مؤسسة تعليمية دينية يقصدها العلماء للتدريس بها، وتأليف الكتب في مختلف العلوم والمعارف، وبعد إنقضاء زمن الجهاد تحولت بعض تلك الرباطات إلى زوايا، بحيث غادرها بعض المتصوفة لإنشاء مراكز شبيهة لها لنشر العلم، ومحاربة الجهل، وإيواء المرابطين المتفرغين للعبادة، ومن بين الأسباب التي أوحت بفكرة إنشاء الزاوية، رغبة الشيخ الصوفي المرّبي في الإجتماع بمريديه وتلاميذه، وهو ما لا يتيسر له في الرباط، حيث توجد مختلف شرائح المجتمع[2]. من هنا يتبين لنا الفرق بين الرباط الزاوية، والذي يكمن في أن الأولى– أي الرباط– تندثر لمجرد موت مؤسسها، لأن فكرة وراثة الرباط من قبل أبناء أو أقرباء صاحبها لم تكن معروفة، على عكس الزاوية التي لا تموت بموت مؤسسها بل يرث قيادتها ومشيختها أحد أقربائه أو تلاميذته[3].

كما عرفت الزاوية قديما باسم الخانقاة، فقد ذكر المؤرخون أن بعض خلفاء المسلمين الأوائل قد بنو للمتصوفة بيوتا ملاصقة للمساجد خصصت للذكر والعبادة، ومع مرور الوقت انفصلت عن المساجد وأصبحت قائمة بذاتها، تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الدينية؛ كالفقه، التفسير، الحديث، التوحيد، والعلوم اللغوية؛ كالنحو، الصرف والبلاغة، إضافة إلى وضائف أخرّى[4].

1 العقبي، المرجع السابق، ص ص 217 – 218.
2 العقبي، المرجع نفسه، ص 218.
3 لطرشي، المرجع السابق، ص 21.
4 العقبي، المرجع السابق، ص 204.

لم تعرف الزاوية في المغرب إلا بعد القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي (5 هـ–11م)، حيث سميت في بادئ الأمر "بدار الكرامّة"، كالتي بناها يعقوب المنصور الموحدي[1] في مراكش[2]، ثم أطلق عليها اسم "دار الضيوف"، على الزوايا التي بناها المرينيون؛ كالزاوية التي أسسها أبو عنان المريني[3] خارج مدينة فاس[4] [5].

1 ثالث خلفاء الموحدين بالمغرب الأقصى، حكم ما بين 580- 595 هـ/ 1184 – 1199 م، تميز عهده بكثرة أعماله الإحسانية ومشاريعه الكبيرة، بنى مسجد الكتيبة في مراكش، احتضن ابن رشد في بلاطه وحماه، هزم ألفونس الثامن في معركة الآرك عام 1195 م، وبعد هذا النصر اتخذ لقب المنصور بالله.الحسني، المرجع السابق، ص 151.

2 مدينة عظيمة تقع بأحسن موقع بإفريقيا، على بعد خمسة فراسخ أو ستة من جبل الأطلس، تحيط بها أجود أقاليم موريتانيا الطنجية، أسسها يوسف بن تاشفين حوالي عام 1052 م، وبنى بها مسجدا، وأدار عليها أسوار من كل جانب، بها أيضا جامع الأعظم، وقد اشتملت مراكش على مزارات أولياء متعددة، ومدافن للصلحاء الكبار، والأئمة الأخيار حتى قيل عنها" هي تربة الولي وحضرة الملك الأولى".مارمول كربخال.**إفريقيا**، تر محمد حجي وآخرون، ج2، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط – المغرب، 1408- 1409 هـ/ 1988- 1989 م، ص ص 46- 47.

3 هو أبو عنان فارس ابن الحسن علي بن عثمان، ولد بفاس سنة 1329م، حكم المغرب الأقصى سنة 1348م، لقب بأمير المؤمنين، وفي بداية حكمه كان عليه أن يقضي على أحد أبناء عمّه، الذي استولى على السلطة في فاس، كما قضّى على بعض المتمردين في المغرب الأوسط والأدنى، اشتهر عصره بكثرة الزوايا، حيث كان أبو عنان من المولعين ببناء الزوايا، أهمها المدرسة البوعنانية بمكناس، مات خنقا من قبل وزيره سنة 1358 م، أبي عبد الله ابن الخطيب السلماني.**رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية، تونس، 1316 هـ، ص 48.الحسني، أعلام التصوف في الجزائر...، ص 47.

4 أكبر وأجمل مدينة من مدن إفريقيا، أسسها إدريس عام 163هـ، من محاسنها أن نهرها يشقها إلى نصفين وتتشعب جداوله في دورها وشوارعها وأسواقها إلى غير ذلك من عيون الماء التي تنبع بداخلها، بها جامع الأشياخ، وكذا جامع الشرفاء، وتحيط بها الأسوار من كل جانب.مارمول، المصدر السابق، ص ص 144- 145.أبو العباس أحمد بن خالد الناصري.**الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح وتع جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج1، دار الكتاب، دار البيضاء، 1418 هـ- 1997 م، ص ص 222- 224. يحي شامي.**موسوعة المدن العربية والإسلامية**، ج1، ط.1، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان، 1993 م، ص 216.

5 محمد حجي.**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، المطبعة الوطنية، الرباط، 1384 هـ/ 1964 م، ص 25.

لقد لعبت مؤسسة الزاوية دورا هامًا في تاريخ المغرب الإسلامي، إذ يمكن رصد مجموعة أدوار متعاقبة ومتداخلة لها في جميع الميادين؛ الإجتماعيّة، الدينيّة، العلميّة، وحتى السياسية، ولكن ما ينبغي الإشارة إليه هو تحول دور تلك الزوايا من سياسي ديني إلى علمي، خاصّة خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (10هـ- 16م)، إذ تحولت جلّ هذه الزوايا إلى مؤسسات علمية صوفيّة حقيقيّة، تمكنت بفضل شيوخها وأتباعها بأن تقوم بدور بارز في بناء مجتمع صالح، والتخفيف من وطأة الأزمات الإجتماعيّة، والإضطرابات التي عرفها تاريخ الإسلام عامّة، وتاريخ المغرب الأقصى خاصة. وسنحاول من خلال هذا المبحث أن نتطرق إلى أهم وظائف مؤسسة الزاوية إن لم نقل جلّها.

ثالثا: دور ونشاط مؤسسة الزاوية

من أهم الأدوار التي قامت بها مؤسسة الزاوية في العالم الإسلامي، إعداد وتكوين الفرد لبناء مجتمع صالح، فكانت أول اهتمامات مؤسسة الزاوية بناء الخلق الإجتماعي السليم، حيث أنه يطبع الفرد بالسلوك الكريم، ويعمل على إحياء الضمير، الشعور بالمسؤولية، ومحاسبة النفس، فمن أخطر الأمراض التي تعرفها المجتمعات الانحلال الخلقي، والذي يعدّ من أكبر عوامل إعاقة نمو الحياة الإجتماعيّة وتقدمها، والذي يرجع سببه كما يذهب معظم علماء الإجتماع إلى نقص التربيّة الروحيّة، لذلك كان من الواجبات الأساسيّة لمؤسسة الزاوية تنشئة المريدين وتربيتهم تربية روحيّة اجتماعيّة، عن طريق تهذيب سلوكهم، وتنقيّة نفوسهم؛ كإكسابهم أنماط سلوكية وقيما دينيّة تتفق مع الآداب والأخلاق العامّة للإسلام[1].

كما تسعى الزاوية إلى مساعدة المريدين على المشاركة في الحياة العامّة، والتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه، ورعاية شؤونه، وحلّ مشاكله، إذ كانت الزاوية تعمل على توفير الحاجيات الأساسيّة التي تتطلبها الحياة الروحيّة للفرد، كما كانت تعمل على تقويّة العلاقات بين الأفراد خاصّة بين أبناء

1 الحسني، زاوية الهامل...، ص ص 314- 315.

الطريقة، بهدف تحقيق التقدم الأخلاقي، الذي يؤثر بدوره على القيّم الإنسانيّة والسلوكيّة، هذه الأخيرة تؤثر بدورها على المقومات الأساسيّة للتقدم الحضاري والاجتماعي[1].

كما عملت الزاوية على إزالة الفوارق الإجتماعيّة بين مختلف الفئات، فقربت بين الأغنياء والفقراء، العلماء والأميين، وشرفاء الأصل وغيرهم، وبالتالي إنهاء الخلافات والخصومات بين مختلف الطبقات الإجتماعيّة، وألفت بينهم في إطار ما جاء به ديننا الحنيف[2]، فقد كان شيوخ الزوايا يمثلون الهيئة القضائية التي ترفع إليها الخصومات، نظراً لما تميز به هؤلاء من حفظ للقرآن الكريم، وتفقه في الدين، إذ قام هؤلاء بوظيفة القاضي، من خلال حلّ النزاعات والخصومات، وإصلاح ذات البين بين أفراد المجتمع، إضافة إلى قضايا أخرّى كأمور الزواج وتقسيم الميراث[3].

كما لعبت مؤسسة الزاوية دوراً هاماً في نشر الإسلام، وحفظ القرآن الكريم، في مختلف بقاع العالم الإسلامي[4]، فقد اهتمت بتحفيظ كلام الله تعالى ونشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية، وعمقته بين مختلف الفئات والطبقات الإجتماعيّة، ممّا ساعد على ترسيخه في الأذهان وحمايته من الضياع والإتلاف.وبهذا تكون الزاوية قد ساعدت بشكل كبير في المحافظة على المقومات العربية الإسلامية[5]، فهيّ تؤدي وظيفة عقائدية، فكرية، وتربوية للرواد، لذلك اعتبرت الزاوية من أهم ركائز التصوف، وأقوّى وسائل نشر المذهب الصوفي من خلال تشجيع التعليم الديني، والتكوين العلمي والمعرفي، فقد كان الرواد يتلقون بالزوايا دروسا في العلوم الشرعيّة، اللغوية؛ كالفقه، الحديث، النحو، اللغة، علم المنطق، وغيرها من العلوم[6].

1 الحسني، المرجع نفسه، ص ص 315 – 316.

2 فويال، المرجع السابق، ص 15.

3 زهيرة بن مصطفى.**المؤسسات الثقافية والتعليمية بالجزائر خلال العهد العثماني1518– 1830م**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف عبد الرحمان بالأعرج، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، تيارت، 1433-1434 هـ/ 2012- 2013 م، ص ص 32- 33.

4 كمال غريب.**المساجد والزوايا في قسنطينة الأثرية**، ذاكرة الناس للنشر، الجزائر، 2011 م، ص 160.

5 فويال، المرجع السابق، ص 15.

6 الحسني، المرجع السابق، ص 154.

لم تكن زوايا المغرب الإسلامي تخلو من خزائن الكتب، خاصّة زوايا المغرب الأقصى، ولعلّ خير مثال على ذلك خزانة عبد الجبار[1]، والتي تعتبر من أهم المرافق العلمية بالمغرب الأقصى، بالإضافة إلى الطريقة الشيخية[2] التي كان لها نشاط جدّ مكثف خلال الفترة السعدية[3]، في نشر الإسلام وتعاليمه الدينية في مختلف الزوايا، وحلقات الذكر، في أيام متعارف عليها بين مريدي وأتباع الطريقة، هذه اللقاءات اليومية والأسبوعية ساهمت في جذب العديد من المريدين الجدد[4].

كذلك من الوظائف الأساسيّة لمؤسسة الزاوية أنها كانت ملجأ للفقراء، المساكين، لمحتاجين، والمضطهدين، وبيوتا للأعمال الخيرية[5]، فقد أطعمت الجائعين، وأوت العجزة والمعوزين، واستقبلت أبناء السبيل[6]، وحمت الهاربين الذين اتخذوها ملجأ لهم[7]، من هنا يمكن اعتبار القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (10 هـ- 16م)، نقطة إنطلاق حقيقية لنشاط الزوايا بفجيج[8]، خاصّة مع ظهور كوكبة من العلماء والشيوخ الذين وهبوا أنفسهم لنشر العلم والمعرفة، وتنقيّة العقول من البدع الضالّة، والأعراف السائدة، فلا عجب في أن تعج هذه الزوايا بالتلاميذ، المعوزين والمحتاجين[9].

لم يقتصر دور مؤسسة الزاوية على العبادة، التصوف، ونشر الطريقة فقط، بل تعدّى ذلك إلى تنظيم الناس، وحثهم على جهاد الأعداء، فانتقلت من جهاد النفس إلى الجهاد بالسيف والقلم[10]، فكانت الزوايا بذلك الصرح الوطني الذي أجج الثورات على الدخلاء المحتلين، حيث خرج

1 سنتعرف لاحقا وبنوع من التفصيل على خزانة عبد الجبار.

2 سنتعرف لاحقا وبنوع من التفصيل على الطريقة الشيخية.

3 أحمد المهاجر.**أضواء على الطريقة الشيخية**، د.ط، د.ب، د.ت، ص 16.

4 مُحَمَّد صالح حوتية.**توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية**،ج1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2007 م، ص 221.

5 عبد العزيز شهيبي.**الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 م، ص 47.

6 عبد العزيز راس مال.**الزوايا والأصالة الجزائرية بين التاريخ والواقع (دراسة أنثروبولوجية حول صحراء تلمسان وأطرافها)**، ج2، منشورات ثالة، الأبيار- الجزائر، 2011 م، ص 88.

7 أبو القاسم، المرجع السابق، ص 268.

8 سنتعرف لاحقا وبنوع من التفصيل على فجيج.

9 بوزيان، المرجع السابق، ص 217.

10 رباجي، المرجع السابق، ص 96.

علماء وشيوخ الزوايا للجهاد، وهذا ما يتضح جلياً على عهد السعديين بالمغرب الأقصى، بحيث أعلنوا الجهاد ضدّ الصليبيين، ووقوف الزوايا إلى جانبهم، والتي كانت تدعوا إلى قتال الغزاة الحاقدين على أرض الإسلام، إلى أن طردوهم من الثغور المغربية [1].

كانت هذه أهم الوظائف التي كانت تسعى لتحقيقها مختلف الزوايا الإسلامية عامّة، وزوايا المغرب الأقصى خاصّة، وغيرها من الأعمال الجليلة التي تساهم في ربط الأخوّة، وتوثيق مبادئ الإسلام بين كل أفراد المجتمع، إلاّ أن هذا لا يصّح على كل الزوايا، فقد كانت هناك زوايا خامدة لم تقدم للناس شيئا، فلم تُقم المدارس لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية، مثلما فعلت الكثير منها، بل اكتفت باستقبال الهبات والزيارات[2].

كما كان لمؤسسة الزاوية إيجابيات ومزايا لها سلبيات وعيوب، ولعلّ من أبرزها انتشار الدروشة، الخرافات، الأباطيل، والبدع الدينيّة، إضافة إلى احتدام الخلافات والخصومات بين بعض الشيوخ، لأغراض شخصيّة حول النفوذ، والمكانة الإجتماعيّة، وكذا بعض القضايا الدينيّة، وهذا ما أدّى إلى ظهور خلافات ومشاحنات بين أتباع الطريقة.ومن بين الخرافات المنتشرة بكثرة في أوساط المجتمعات لجوء النساء إلى الزوايا والأضرحة الموجودة بها، إمّا من أجل التداوي من العقم، أو من أجل حفظ الأولاد أو الزواج...الخ.لكن رغم ذلك فإن مؤسسة الزاوية شكلت حجر الأساس ومركز الإشعاع العلمي والديني، وهذا بمحافظتها على الأصالة، والتراث من خلال الدور التربوي والروحي الذي كانت تؤديه[3].

وبذلك كانت لمؤسسة الزاوية فضل كبير على تاريخ الحضارة الإسلامية، سواء من جانبها العلمي أو الإجتماعي التربوي، فقد خلفت أدبًا رفيعًا وشعرًا صادقًا بفضل شيوخهَا ومفكريهَا الأجلاء.

1 العقبي، المرجع السابق، ص 306.

2 خليفي، المرجع السابق، ص 52.

3 لطرشي، المرجع السابق، ص ص 23 – 24.

تتكون مؤسسة الزاوية من عدّة هيئات تشرف عليها وتقوم بخدماتها، حيث نجدّ مجموعة من الموظفين يسهرون على تسيير أمور وشؤون هذه المؤسسة على أكمل وجه.وذلك ابتداء من شيخ الزاوية وهو بمثابة الرئيس الأعلى لها، وصولا إلى هيئة الخدم الذين يسهرون على السير الحسن لمؤسسة الزاوية.وسنحاول فيما سيأتي التطرق لكل هيئة على حدّى.

رابعا: الهيكل التنظيمي لمؤسسة الزاوية

أ– الشيخ:

كما هو معروف لدّى جلّ الزوايا بالمغرب الإسلامي، يقف الشيخ على قمّة هرم التنظيم الروحي للزاوية[1]، وعادّة ما يكون هو مؤسسها[2]، وهو المسؤول المباشر على زاويته، له كل صلاحيات التصرف في أملاك الزاوية، فهو الذي ينفق عليها ويوفر للطلبة كل متطلباتهم واحتياجاتهم، وهو الذي يضع البرامج والقوانين التي يراها صالحة لتسييرها؛ والتي هي عبارة عن مجموعة من العادات والتقاليد والأعراف السائدة في الزاوية[3].ولشيخ الزاوية عدّة خدمات أخرى منها:

* **التدريس:** عادة ما يشارك شيخ الزاوية في إعطاء الدروس للطلبة، لأن الهدف الأساسي من إنشاء الزاوية هو نشر العلوم والتوعية الدينيّة، لذلك ترّى الشيخ بنفسه يشرف على هذا الجانب، بحيث يقرر طرق التدريس، مستوياته، مناهجه، والمواد التي تدرس للطلبة.

* **تسيير الزاوية:** من خلال السهر على تنظيم الزاوية، وتعيين الأدوار فكل حسب عمله؛ كتعيين المدرسين، هيئة الخدم...الخ.

* **النظر في نفقات الزاوية:** حيث يقوم الشيخ بتعيين ميزانيّة للزاوية، ويكون الإعتماد فيها على الأوقاف، التبرعات والزيارات .

1 بوعنتو، المرجع السابق، ج2، ص 292.
2 شهيبي، المرجع السابق، ص ص 58– 59.
3 لطرشي، المرجع السابق، ص ص 58 – 59.

* **الإمامّة في الصلوات:** حيث يقوم شيخ الزاوية بإمامّة الناس في الصلوات الخمس، وإلقاء الخطب والدروس، كما يقوم باستقبال الضيوف، وإدماج الطلبة الجدد الذين يأتون في العطل الصيفية[1].

والشيخ عند المتصوفة بمثابة إله، يعطونه كل صفات الألوهيّة، وهو الأساس في كل زاوية، وما تفرقت الزوايا إلّا إتباعا لشيخها، وتسمى كلها باسم مشايخها ومؤسسيها، ومع الزمن تتفرع الطريقة الواحدة إلى طرق كثيرة تحمل أسماء مشايخها الجدد[2]، وإن مات شيخ الزاوية وجب أن يخلفه أحد أفراد عائلته، أو أحد أتباعه فيمن يُرّى فيهم الكفاءة في مجال الرأي والعلم، وذلك إمّا عن طريق الوصايّة، أو عن طريق الإختيار[3]،كما يجب أن لا تفوتنا الإشارة إلى أن وفاة الشيخ لا يعني نهايّة الطريقة بالنسبة للمريدين، بل يبقى حضوره وروحانيته قائمان، لذلك فإن النصائح والأقوال التي يتركها الشيخ تتحول بعد ذلك إلى مجموعة من المناسك والشرائع التي ينبغي على المريد إتباعها، لذلك كانت تقام الأضرحة حول قبور الشيوخ لاستحضار همّة، قوّة، عزيمة، وبرّكة الشيخ من خلال إقامّة الشعائر والطقوس الدينية، والتردد على تلك الأضرحة وزياراتها[4].

من أهم المعتقدات الصوفيّة أن للشيخ، وبالإضافة إلى خبرته ونفوذه الديني الذي يتمثل في حلّ المشاكل الدنيويّة والإجتماعيّة؛ كالزواج وحلّ النزاعات وإصلاح ذات البين بين الأفراد، فالشيخ بذلك يملك قوة عجيبة على جبرية الأحداث[5].

كذلك من أدوار الشيخ هو أن يأخذ بيد مريده، ويرشده إلى الطريق، ويعلمه التوبة والزهد، ويشير إليه بما ينفعه وما يضره، ويلقنه الأوراد والأذكار، ليرث بذلك من وراءه المشيخة.وقد وضع الصوفية للشيخ شروط وآداب، ومن شروطه نجد:

---

1 عبد الرحمان حرمة.**الدور الديني والإجتماعي والثقافي للطرق الصوفية بإقليم توات خلال القرنين 11– 12 هـ (17– 18 م)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، إشراف شترة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة المسيلة، 2012 – 2013 م، ص 82.

2 مُحَمَّد عبد الرؤوف القاسم.**الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ**، ط.1، دار الصحابة، بيروت– لبنان، 1408 هـ/ 1987 م، ص 317.

3 مقران يسلي.**الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920– 1945م**، دار الأمل، الجزائر، 2007 م، ص 71.

4 بوعنتو، المرجع السابق، ص 293.

5 بوعنتو، المرجع السابق، ج1، ص 364.

* أن يكون قد سلك طريق الحق.

* أن يكون قد عرف المخاوف والمهالك ومنعرجات الطريق؛ بمعنى أن يكون مدركًا بالخواطر النفسانيّة، الشيطانيّة، الملكيّة والربانيّة، وبالعلل والأمراض عن الوصول الصارفة إلى الحقيقة الإلهيّة، وعارفًا بالأدويّة النافعة لهذه الأمراض، وعارفًا بسياسة الظاهر والباطن وبطريق النجاة.

* أن يكون كامل مكمل في علوم الشريعة والطريقة.

* أن يكون مستقيم الحال.

ومن آداب الشيخ:

* أن يكلم الناس على قدر عقولهم.

* أن يأمر كل شخص بما يصلح له.

* أن يكون حسن الخلق مع المريدين والرفق بهم .

* أن يحفظ أسرار مريديه[1].

في حالة عدم قدرة الشيخ على الإرشاد المباشر لكل المريدين والأتباع نتيجة لعددهم الهائل، أو لغيابه المكاني، فللشيخ أتباع ومساعدون قد سبقوا وأن تمكّنوا من السّير على نفس الطريقة، ومن ثمّ استطاعتهم وقدرتهم على مساعدة الشيخ على إرشاد المريدين وغير ذلك من خدمات الزاوية، لكن يبقى الشيخ هو المصدر الأساسي لكل نفوذ روحي نظرًا للهرم التنظيمي الصوفي[2].

ب– المقدم:

يختاره الشيخ من بين قدماء طلبة الزاوية، ممن يرّى فيهم القدرة والإستقامّة، فيكلفه بالمراقبة وتسيير شؤون الطلبة، ومراقبة أخلاقهم وسلوكهم داخل مؤسسة الزاوية، ومراعات أوقات التدريس، كما يلاحظ من تغيب منهم عن الصفّ وأوقات القراءة والدرس، أو عن صلاة الجماعة.فهو المسؤول

1 الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والأثار..، ص ص 150- 152.

2 بوعنتو، المرجع السابق، ج2، ص 293.

على كل ما يجري داخل الزاوية، وله كلمة مسموعة سواء لدّى الطلبة أو لدّى رئيس الزاوية –أي الشيخ– كما يتولى المقدم ضمان إعداد المواد الغذائية اللازمة لكل أسبوع[1].ومن وظائفه كذلك:

- أن يأمر بالأعمال الصالحة، ويعلمها لعامّة الفقراء ذكورًا وإناثًا بعد استئذان أزواجهن أو محارمهن.
- أن يكون عارفا بأمور الدين، محافظا على الصلوات، ملمّا بالفقه الضروري، وأن يلقن للطلاب، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويأمرهم بمجالسة العلماء، ومذاكرتهم، وينهاهم عن مخالطة الفساق والفجار وأهل البدّع، وكل ما يشغلهم عن ذكر الله تعالى وشريعة النبي –ﷺ –[2].

ج– الوكيل:

الذي يسهر على حفظ أرزاق مؤسسة الزاوية، وعلى تموينها بالمواد الغذائية؛ كالإشراف على إعداد الطعام للطلاب والضيوف، إضافة إلى خدمات أخرى؛ كجلب الماء والحطب للزاوية[3].

د– المريدون:

جمع مريد، وهو سالك الطريق، بمعنى يسير في الطريقة حسب إرشادات شيخه حتى يصل إلى غايته، وذلك من خلال إتباعه مجموعة خطوات تتمثل أساسًا في: التوبة، العهد، والتلقين[4]، لقوله تعالى: ﴿... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ المؤْمِنُونُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5].

أما بالنسبة لأعمار الطلاب المترددين على مؤسسة الزاوية فكانت تتراوح ما بين السادس والرابع عشر، وفي هذه السن الأخيرة يكون الطالب قد ختم القرآن الكريم، وتعلم القراءة والكتابة، وقواعد الدين والحساب، وبعد ذلك يكون على الطالب اختيار حياته الجديدة، فهو إما أن يدخل ميدان العمل المهني؛ كالتجارة، وإما أن يصبح مؤدبا للصبيان، وإما أن يواصل دراسته في الزاوية

1 شهيبي، المرجع السابق، ص ص 60-61.

2 بوزيان، المرجع السابق، ص 239.

3 مُحَمَّد أرزقي فراد.**الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ ابي يعلي الزواوي 1866–1952**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2009 م، ص23.

4 الحسني، المرجع السابق، ص 153.

5 سورة النور.الآية 31.

لتحصيل المزيد من التعليم في مختلف العلوم على أيادي شيوخها[1].

وقد وضع الصوفية على المريد آدابا يجب عليه التقيد بها منها: طاعة شيخه طاعة عمياء، تعظيمه وتوقيره، وعدم اعتراضه، وتقديمه عن باقي الشيوخ، عدم الإلتجاء إلى غيره إلّا بإذنه، أن يحفظه في غيبته، أن يلازم الورد الذي رتبه له شيخه، وأن لا يتجسس على أحواله، وأن لا يدخل الخلوّة إلّا بإذنه، ومن آداب المريد على شيخه أن لا يزوره إلاّ وهو طاهر، وأن يحسن الظن به[2]، وهذا ما ينطبق عليه القول المشرقي المشهور:" المريد في يدّ الشيخ ،كالميت في يدّ المغسل"[3].

لمؤسسة الزاوية نظام داخلي مجاني، فالطالب لا يدفع شيء مقابل تعلمه، مسكنه، وأكله، فالزاوية هي التي تتكلف بجميع النفقات ماعدًّا اللباس، والطالب في الزاوية يربى على خشونة العيش، والإعتماد على النفس في جميع شؤونه، وعلى التفاني في طلب العلم، وحُبّ النظام، والالتزام بالأخلاق الفاضلة، والسلوك الحسن، والطالب كما يجاز ويكرم عن حفظه حزب أو ختمه للقرآن، كان يعاقب ويحاسب على جميع التصرفات السيئة، أو على مخالفته لأعراف الزاوية ونظامها، وهناك ثلاثة أنواع من العقاب:

1- العقاب الخفيف: ويطبق على الطالب الذي تغيب عن صلاة الجماعة، أو عن وقت القراءة بلا عذر، أو أخل بآداب السلوك العام للزاوية.

2- العقاب المتوسط: وهو مالي، إذ يلزم الطالب على دفع مبلغ من المال في حالة مخالفته لنظام الزاوية والمسّ بأخلاقياتها؛ كالتدخين، التجسس، النميمة، السب والشتم، الإعتداء وفي كل الأعمال التي تؤذي الآخرين[4]، وهذا ما يسمى عند الزاوية الشيخية بالأنصاف[5].

3- العقاب الشديد: وهو النفي من الزاوية، وهذا النوع يطبق على مرتكب إحدى أكبر الكبائر، كالزنا، السرقة، وشرب الخمر.

---

1 شهيبي، المرجع السابق، ص 152.

2 الحسني، المرجع السابق، ص 152.

3 منال عبد المنعم جاد الله.**التصوف في مصر والمغرب**، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص 127.

4 شهيبي، المرجع السابق، ص 62.

5 خليفي، المرجع السابق، ص 36.

هـ – هيئة التدريس:

بالإضافة إلى شيخ الزاوية، والذي هو عمدة التعليم بها، يختار معه شيخا آخر، أو أكثر من شيخ، بحيث يكون الشيخ المختار لهذه المهمة من الطلبة النجباء والقدماء في مؤسسة الزاوية، ومن أهل التقي والصلاح، ومن الطبيعي أن يكون حافظا للقرآن الكريم، معروفا بأداء الصلوات في أوقاتها، وأن يكون ممن يقرأ الرسائل ويكتبها، ونحو ذلك ممّا يعد ضمن الخدمة العَامّة[1].

و – هيئة الخدمات:

تتكون من أشخاص متطوعين، من مهامهم إستقبال الضيوف في غياب الشيخ[2]، ومنهم من يسهر على نظافة الزاوية، ومنهم القائمين على مسجدها والعاملين على راحة الطلبة المقيمين بها، وغيرهم ممن يقوم على مختلف مرافق هذه المؤسسة[3].

بناء على ما سبق ذكره، فإننا نجد أن الزاوية مركزا منظم، وكأنه خلية نحل كل يقوم بواجبه، وبذلك فمؤسسة الزاوية تعدّ من أهم المؤسسات الدينية والتعليمية، التي احتلت الصدارة بين مختلف المراكز الدينية، فهي بمثابة مدارس ابتدائية، ومعاهد علمية دينية ودنيوية.

1 شهبي، المرجع السابق، ص ص 62- 64.

2 حرمة، المرجع السابق، ص 83.

3 لطرشي، المرجع السابق، ص 25.

ممّا هو متعارف عليه لدّى عَامّة الباحثين والمؤرخين أن الزاوية مؤسسة دينيّة، ثقافيّة تعليميّة، هذه الأخيرة كانت من أولى اهتماماتها، خاصّة وأن الزاوية وجدت لهذا الغرض، فقد اهتمت جلّ زوايا المغرب الإسلامي خاصّة العلمية منها بنشر العلم والإسلام، والدعوة له، وسنستدل على ذلك بزاوية عبد الجبار التي تعدّ من أهم المراكز العلمية نشرا للعلم والتعليم، لإحتوائها على أكبر خزانة علمية لجمع الكتب، وذلك من أجل جذب المريدين والراغبين في طلب العلم، وفي التحصيل المعرفي.وبناء على هذا سنحاول من خلال ما سيأتي أن نتعرف على نظام التعليم بمؤسسة الزاوية.

خامسا: نظام الزاوية كمؤسسة تعليمية

أ– الإلتحاق بمؤسسة الزاوية:

عندما يرغب الطالب في الإلتحاق بمؤسسة الزاوية يطلب منه السيرة الحسنة، وحفظ شيء من القرآن الكريم، والرغبة القوية في التعليم، وعند توفر هذه الشروط يجتمع الطلبة بطلب من المقدم، وبحضور شيخ الزاوية، فيقرؤون الفاتحة للطالب الجديد، ويدعون له بالخير والنجاح وذلك هو القبول.

كانت الزاوية تفتح أبوابها لكل الطلاب الراغبين في تحصيل العلم والمعرفة، إذ ليس هناك أية حواجز أو شروط لدخولها، فهي تستقبل كل الأعمار ومن الجنسين، وكل الطبقات، إذ لا فرق بين الغني والفقير، العالم والجاهل...الخ، كمّا أنه ليس هناك أيّ اختبار لدخول الزاوية أو الخروج منها، فللطالب الحق في أن يغادر الزاوية متى شاء ويعود إليها متى شاء.

لمؤسسة الزاوية نظام داخلي خاص، فهي التي تتكفل بكل احتياجات الطالب، خاصّة وأنه من عادة طلاب العلم أن لا يدرسون في مدنهم أو جهاتهم، بل يبتعدون عن مواطنهم، فيقصدون الزوايا البعيدة التي اشتهر بها بعض المدرسين، أو اشتهرت في أنها أخرجت عددا من العلماء، وذاع صيتهم في كل الجهات، فتلك هي فريضة طلب العلم عند الناس[1].

كان الطالب إذا دخل مكان الدرس لأول مرّة، يرّى الطلاب ملتفون حول الشيخ المدرس، في شكل حلقات دائرية أو نصف دائرية، إذ كان كل مدرس يهتم بحلقة معينة، فإذ كان الطالب قد

1 شهبي، المرجع السابق، ص 65.

كون فكرة واضحة حول مدرس ما، فإنه يقصدُه مباشرة، ويجلس إلى حلقته، ويتابع دروسه في المادة أو المواد التي يدرسها ذلك الشيخ –إذ كان بعض الشيوخ يدرسون أكثر من مادة، ولكنهم يشتهرون بواحدة– أما إذا جاء الطالب وهو لا يدري عند من سيدرس، فإنه يجلس إلى عدد من المدرسين عدّة مرات، حتى يستقر رأيه على واحد منهم أو أكثر ليتابع دروسه عندهم مدة قد تطول وقد تقصر، وذلك حسب حاجة الطالب لذلك العلم، وحسب قدرته على الإستيعاب والفهم، ليحصل على إجازة عند نهاية الحلقة التدريسية، أو عند ختمه لمصنف موضوع الدرس[1].

ب– منهج الدراسة:

كان بعض المدرسين يلقنون دروسهم ثلاث مرّات في اليوم الواحد، كمّا أن بعضهم كانوا يلقونها في الصّباح فقط، أو بعد الظهر، أو مرتين في النهار، وقد لا ينقطع بعض المدرسين عن التدريس طول النهار، ومهما كان الأمر فإن معظم الدروس كانت في الصباح، وبعد صلاة العصر، أما بالنسبة للعلاقة بين الطالب وشيخه فقد كانت تربطهما علاقة وطيدة، إذ كان الشيخ ينصح تلميذه بكيفية القراءة، وبالكتب التي عليه أن يدرسها، وبطريقة تحصيل الدرس، وبالمتون التي عليه حفظها، ونحو ذلك ممّا له علاقة ببرنامج التدريس.

كما كان للطالب الحق في أن يقرر الإستمرار مع الشيخ المدرس أو الإنتقال إلى مدرس آخر، أو حتى إلى زاوية أخرّى، فكثيرا من الطلاب كانوا يغيرون وجهتهم بعد وفاة شيخهم، أو ختم الشيخ لموضوع الدرس، أو رغبة الطالب في مواصلة دروسه في مستويات أخرّى، وقد كانت الرابطة قوية بين الطالب وشيخه لدرجة أنها أحيانا تغير مجرّى حياة الطالب، وتأثر على مستقبله.وهذا ما يسمى عند الصوفية بالرابطة الروحية[2].

أما بالنسبة لطريقة التلقين في مؤسسة الزاوية فقد أخذت نوع الشروح والأمالي، إذ كان لكل مدرس مسمع يقرأ له النص المقرر شرحه، ثم يأخذ الشيخ في شرح المسألة وتوضيحها، وكلما أطال الشيخ المدرس في المسألة كان ذلك من دلائل نجاحه وغزارة علمه، وعادّة ما كان الشيخ المدرس يختم

1 شهيبي، المرجع نفسه، ص 66.

2 شهيبي، المرجع نفسه، ص ص 67 – 68.

درسه بإملاء خلاصات على طلابه، فينسخونها بحذق وعناية، كما أن الطلاب أنفسهم كانوا يسجلون الدرس كله إذا كان الشيخ المدرس واسع العلم، غير مستفيد بالمنقول والمسموع من المسائل، فإن الطلاب في هذه الحالة يصبحون حريصين أكثر على ألاّ تفوتهم شاردة أو واردة من كلام شيخهم.وكثيرا ما كان الطلاب لا يواصلون دراستهم؛ ذلك أن البرنامج نفسه غير محدد، فيكتفي الطالب بمّا تعلمه في الزاوية، وهذا النوع من التعليم لا ينتهي بشهادة أو نحوها، وأقصى ما يطمح إليه الطالب المجتهد هو حصوله على إجازة مكتوبة أو شفوية من شيخه، وتكفي هذه الشهادة – أي الإجازة- في أن تؤهل حاملها بأن يدرس علمه لمن شاء[1].

ج- مراحل الدراسة ومعارفها:

كان التعليم في بعض زوايا المغرب الإسلامي متدرجا في ثلاث مراحل وهي:

* **المرحلة المبتدئة:** وفيها كان الطلبة يدرسون القواعد النحوية؛ ككتب الأجرومية، ملحقة الإعراب، إلى جانب بعض الكتب في التوحيد، البلاغة، الأدب والفقه.

* **المرحلة المتوسطية:** (المستوى الثانوي) وفيها كان الطلبة يدرسون القواعد والفقه؛ ككتاب قطر الندّى، مختصر خليل[2]، وهذا بعد حفظ القرآن الكريم حفظا جيدّا.

* **المرحلة المنتهية:** (التعليم العالي) وفيها يدرس الطلبة تفسير القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، إلى جانب دراسة الفقه والقواعد، وشيئا من التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، كمّا يدرسون المنطق لصلته بعلم التوحيد، والحساب لصلته بعلم الميراث، إضافة إلى الفلك وذلك لمعرفة أوقات العبادات.

أما بالنسبة لنظام التعليم خارج حلقات الدرس فقد سيطر على المجالس العلمية القرآن الكريم، كالكتب المشبعة بالأفكار الدينية والعبادات والأوراد، وليس من هذا أن الدروس كانت تشمل جميع هذه العلوم والمعارف – السالفة الذكر- فقد يوجد بعضها في زاوية ولا توجد في أخرى[3].

1 شهيبي، المرجع نفسه، ص ص 68 - 69.

2 من أشهر كتب الفقه المالكي، لمؤلفه خليل بن إسحاق الجندي ضياء الدين (ت 776 هـ- 1371 م)، وهو من كبار فقهاء المالكية، من أهل مصر، تعلم في القاهرة، وولى الإفتاء على مذهب مالك، له المختصر والتوضيح وغيرهما.الحسني، أعلام التصوف في الجزائر..، ص 64.

3 شهيبي، المرجع السابق، ص ص 70 – 71.

في الأخير نستنتج أن الزاوية مؤسسة تعليمية منظمة وممنهجة، ذات برنامج تعليمي قائم بحدّ ذاته، ولكن ليس كل الزوايا بالمغرب الإسلامي لها نظم تعليمية سواء من حيث المناهج المتبعة لتنظيم الزاوية، أو من ناحية الكتب التعليمية، أو المواد وسنوات الدراسة ومراحلها، أو من حيث أعمار الطلاب، ومستواهم العلمي، وإنما ما لاحظناه هو أن التعليم كان يسير وفقا لأعراف وتقاليد كل زاوية، إذ كان الطلاب يزاولون دراستهم لسنوات قد تقصر وقد تطول، يدرسون خلالها مختلف المعارف والعلوم. كما يجب الإشارة إلى أنه ليس كل زاوية تحوي على كل تلك العلوم-السالفة الذكر- بحكم أنه هناك زوايا اقتصر دورها على نشر العلوم الدينيّة؛ كتفسير القرآن الكريم، وشرح الأحاديث النبوية.

الفصل الاول

قصور فجيج جغرافيا وتاريخيا

أولا: فجيج جغرافيا

أ- التسمية والموقع

ب- مظاهر السطح بواحة فجيج

ج- المناخ والنبات بقصور فجيج

ثانيا: فجيج بشريا

-التركيبة السكانية لقصور فجيج

ثالثا: فجيج تاريخيا

أ- قصور فجيج في الفترة القديمة

ب- فجيج منذ الفتح الإسلامي إلى غاية القرن 10 هـ/ 16 م

رابعا: الحياة الاقتصادية بقصور فجيج في عهد السعديين

أ- الزراعة وتربية الحيوانات

ب- التجارة

ج- الصناعة

لقد دفع موقع فجيج الاستراتيجي، وتاريخها العريق إلى جذب الكثير من رجالات العلم، وذوي النفوذ السياسي والصلحاء إلى الإلتجاء إليها، إمّا رغبة في طلب العلم أو من أجل تأسيس مؤسسات ومراكز علميّة ودينيّة؛ كالزوايا والمساجد ...، وسنحاول من خلال ما سيأتي أن نتعرف على تسمية قصور فجيج وموقعها الجغرافي.

أولا: فجيج جغرافيا

أ- التسمية والموقع:

من خلال دراستنا للموضوع وجدنا أن هناك اختلاف بين المؤرخين والباحثين حول أصل كلمة فجيج وفي هذا نجد:

الموقف الأول يركز على أصلها العربي، وثانيها يؤكد على أصلها الأمازيغي، وقد كان أغلب النسابين والمؤرخين يميلون إلى القائلين بأصلها الأمازيغي، ولكن مع تطور الوسائط العلميّة واجتهاد الباحثين في التأكد من أصل الكلمة، ووفرة قنوات الإتصال بين إطارات البحث العلمي، أصبح أغلب النسابين يميلون إلى صفّ القائلين بعربيتها، بل وأن الذين سموها بهذا الإسم هم من القبائل العربية الذين وفدوا إليها من المشرق سواء عابرين أو قاطنين، من هنا يتضح أن إسم فجيج أو الفجيج أو الفجيجيات اسم عربي، مألوف في عدد من دول المشرق العربي[1].

تتربع واحة فجيج بأقصى نقطة بالحدود الجنوبية الشرقية الحالية للمغرب الأقصـــــى، وتقع هذه الواحات على علو 900م[2]، تحيط بها الجبال من كل الجهـــات، وهي امتداد لجبال الأطلس الصحراوي، حيث يحدها جنوبا بني ونيف[3]، ووادي جير[4] غربا، أما شمالا فتمتد إلى الهضاب العليا

[1] بوزيان، المرجع السابق، ص 7.

[2] عبد الرحمان بن زيدان.**العز والصولة في معالم نظم الدولة**، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1381 هـ- 1961 م، ص 161.

[3] يقع شمال قصر واكدة، ويوجد به ضريح سيدي سليمان بن أبي سماحة، جدّ الولي الصالح عبد القادر بن مُحَمَّد المشهور بسيدي الشيخ، وقد ذكره الفقيه ابن أبي محلي ببني ونيفن. أبو العباس أحمد بن عبد الله بن القاضي بن أبي المحلي السجلماسي العباسي.**منجيق الصخور لهدم بناء الشيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزنادقة**، مخطوط رقم 338 ضمن المكتبة الوطنية، الرباط- المغرب، الورقة 176.

[4] ينبع من سلسلة الأطلس، ويتوجه نحو الجنوب عبر مفازات، يمر بتاغيت، ويتوغل وراءها مشكلا بحيرة في وسط الصحراء.حسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي).**وصف إفريقيا**، تر مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، ج2، ظ.2، د.غ.إ، بيروت- لبنان، 1983 م، ص 255.

ويحدها شمالا وادي الناموس[1].

أما موقع الواحة في الإحداثيات الجغرافية فهي بين خط عرض "54-'18-32 شمالا، وخط طول "53-'26-1 جنوبا، وتمتد على مساحة 2311 كلم^2 تقريبا، وهي لا تشكل من المنطقة سوّى 35 كلم^2، أما باقي المساحة فتعتبر مجالا لتنقل الرعاة[2].

تضم واحة فجيج حاليًا سبعة قصور وهي: قصر الوداغير[3]، المعيز[4]، أولاد سليمان[5]، قصر الحمام الفوقاني[6]، الحمام التحتاني[7]، العبيدات[8]، وقصر الزناكة[9]، وهي بمثابة القرى الصغيرة واقعة وسط واحة من النخيل[10] [11].

---

[1] قال عنه أبو سالم العياشي :" وادي كبير ملتف بأشجار الطرفا في حلاها قيعان تمسك الماء وتنبت الكلأ يكفي الأنجاع من العربان إذا أووا إليه، وفي أعلاه عند فرضة الجبل الذي يخرج منه إلى الصحراء قرية سندانة". أبو سالم عبد الله بن مُحَّد العياشي.**الرحلة العياشية 1661– 1663 م**، تح وتق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج2، ط.1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي– الإمارات العربية المتحدة، 2006 م، ص 549.مولاي بالحميسي.**الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979 م، ص ص 111-112.

[2] بوزيان، واحة فكيك تاريخ وأعلام..، ص 21.

[3] أو آيت عدي، نسبة إلى الإمام عيسى بن سعيد الملقب بعدي، أما عن تسمية القصر بهذا الإسم فتختلف من قول لآخر، فمنهم من ينسبه إلى الشرفاء الوتدغيريين الذين قدموا إلى فجيج، ومنهم من ينسبها إلى الشيخ عيسى بن عبد الرحمان الوتدغيري تمييزا عن غيرهم من الشرفاء.بوزيان، المرجع نفسه، ص ص 70-71.

[4] سمي بهذا الإسم نسبة إلى رجل ورتدغيري من البرزوزيين، يدعى علي بن مُحَّد بن عمر بن زيان بن امبارك بن زيان بن لمعيز، ظهر خلال القرن 7 هـ-13 م بفجيج، وشيد قصر لمعيز.مُحَّد بوزيان بنعلي.**أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي**، ط.1، دار الجسور، وجدّة، 2000 م، ص 8.

[5] أقيم على أنقاض قصر توسارت، وقد عرف قصر أولاد سليمان حركة صوفية نشطة مقارنة بالنشاط العلمي. بوزيان، واحة فكيك تاريخ وأعلام..، ص ص 74، 117.

[6] أو آيت عامر، ترجع تسمية القصر بهذا الإسم إلى وجود إحدى العيون المائية، والتي تبلغ درجة حرارتها إلى 50 درجة، وتسكن هذا القصر قبائل مختلفة الأمشاج.بوزيان، المرجع نفسه، ص ص 73- 74.

[7] أو آيت وادي، أطلق عليه هذا الإسم للتمييز بينه وبين قصر آيت عامر، وكذا بسبب استفحال النزاعات بين القصرين– أيت وادي وآيت عامر– حول منابع الماء.بوزيان، المرجع نفسه، ص 74.

[8] أو آيت آنج، وقد كان القصر امتداد لزاويتي عبد الوافي وآل سكون، والإعتقاد السائد أن تسمية القصر بالعبيدات، هو نسبة إلى عبيد البخاري، وقد نزلت عناصره في المكان الذي يشغله القصر حاليا، فسمي القصر باسمهم، لكن هذا الرأي لا تؤيده الوثائق لأن إطلاق العبيد سابق لظهور عبيد البخاري، ومن جهة أخرى فإن آل عبد الوافي وآل سكون الذين سكنوا القصر كانوا يستخدمون عددا مهما من العبيد.بوزيان، المرجع نفسه، ص 75.

[9] أو"إصناكن" أو"زناقة" ترتبط تسمية هذا القصر بقبيلة صنهاجة البربرية، التي تمكنت من طرد الزناتيين إلى الهضبة لتستقر هي بالسهل قادمة من الجنوب الغربي، وقد أسست حصنا هو الذي يتألف منه اليوم القصر المذكور.بوزيان، المرجع نفسة، ص 75.

[10] مُحَّد حجي.**الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعدين**، ج2، مطبعة فضالة، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، شوال 1398 هـ-سبتمبر 1978 م، ص 511.

[11] انظر الملحق رقم 01.

هذه الوضعية الجغرافية الممتازة للواحة جعلتها من أهم المنافذ بالمغرب الأقصى سواء منها المفتوحة على الصحراء جنوبا، أو نحو الهضاب العليا شمالا، فهي بذلك تمثل ملتقى الطرق الرئيسة في منطقة الجنوب الشرقي الرابطة ما بين الشمال والجنوب، وما بين الشرق والغرب، حيث تحتل المركز الأساسي في الطريق المؤدية من تافيلالت[1] إلى الأغواط[2] فوادي زوزفانة الذي يعتبر الطريق الرئيسي لمرور القوافل توات[3] وبلاد السودان[4] [5].

تتكون منطقة فجيج من نفس الأنساق الجيولوجيّة التي تتكون منها جبال الأطلس الصحراوي، والمنخفضات التي تتخللها، وسنقتصر في هذا الوصف الجغرافي على التضاريس المحيطة بالواحة، مادام هذا الإطار هو الذي يحدد المجال الرئيسي لنشاطات واستقرار سكانها.

ب- مظاهر السطح بواحة فجيج:

يمكن تقيس واحة فجيج إلى وحدات تضاريسية متباينة وهي: المنخفضات والمرتفعات.

1- المنخفضات:

وهي على شكل مثلث، يمتد ما بين الجنوب والشمال الغربي في ناحية الشرق، تحيط بها الجبال من جميع الجهات، وهو حاليا ما يشكل واحة فجيج، ويشكل هذا الحوض قسمين: الأول

---

[1] إسم بربري لإقليم واسع يقع وراء الأطلسين المتوسط والكبير متاخما لواحات فجيج وحدود الجزائر شرقا، ودرعة غربا، وتجري في تافيلالت عدَة أنهر منها نهر غريس، زيز وكير، فتكثر على ضفافها أشجار النخيل وتتعدد بها الواحات الخضراء. كربخال، المصدر السابق، ج3، ص 164.حجي، المرجع السابق، ص 519.

[2] جمع لكلمة غوط وتعني المساكن المحيطة بالبساتين، وهي بلدة كبيرة محاطة بسور وحولها تحصينات، كثيرة الأشجار، وللأغواط أربع أبواب، ويقسمها وادي امزي إلى شطرين.الحاج ابن الدين.**مجموع رحلات رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان**، تح سعد الله أبو القاسم، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 م، ص ص 87- 88.إبراهيم مياسي.**من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007 م، ص 103.محمود علالي.**الحركة الإصلاحية في الأغواط**، تق بوعزة بوضرباسة، وزارة الثقافة، 2008 م، ص 82.

[3] إقليم صحراوي واسع ينزل جنوبا من وادي الساورة، ويتسع شرقا في واحات متلاحقة وقصور كثيرة، من أشهرها تيمي وتيمنطيط أم القرى التي غلب عليها اسم توات.محمد حجي، المرجع السابق، ص 631.

[4] تدل على جميع البقاع التي يقطنها السود، يحدها المحيط غربا، والصحراء شمالا، اثيوبيا العليا جنوبا، واثيوبيا القريبة من مصر شرقا، تحوي عدَة قبائل وأنهار عظيمة، ذات أرضية منخفضة وخصبة.مارمول كربخال.**إفريقيا**، تر محمد حجي وآخرون، ج1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط- المغرب، 1404 هـ-1984 م، ص ص 51، 53.جميلة بن موسى.**تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن الثالث إلى الخامس الهجري (9 هـ- 11 م)**، بحث لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف إبراهيم فخار، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000- 2001 م، ص 14.

[5] أحمد مزيان.**فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845 – 1903)**، مطبعة فجر السعادة، 1988م، ص ص 24 – 25.

مرتفع في الجزء الشمالي تحده حافة، والتي تطل بها على الجزء الثاني، والذي يشكل المنخفض في الجزء الجنوبي، وقد تشكل هذا المنخفض بفعل الإنكسار الذي حدث في الزمن الجيولوجي الرابع، ويفترض الجيولوجيون أن العيون المائية التي تفجرت بفعل الإنكسار المذكور، بالإضافة إلى عمليات التعريّة النشيطة التي تعرضت لها السلاسل الجبلية المحيطة بالواحة أدّى إلى تشكل المنخفضات[1].

وينقسم الحوض الجنوبي للواحة أو ما يسمى السهل هو الآخر إلى قسمين هما: حوض بغداد في الشرق، وقسم أعلى من الغرب.

أما بالنسبة لسهل بغداد فهو عبارة عن بحيرة ملأها نهر زوزفانة والمياه المتدفقة إليه من الحوض الشمالي، إضافة إلى العيون المائية المتدفقة فيه من الأعلى، والذي يصل ارتفاعه إلى حوالي 850م، ويتكون من تراكمات كتليّة، كمّا يجب أن لا تفوتنا الإشارة إلى وجود تلال صغيرة في أقصى شرق السهل.

أما القسم الغربي من السهل فيتكون من رواسب الحصّى الناتجة عن مختلف السيول المنحدرة من الجبال المحيطة به، وهو جاف عاري من النبات، ذو انحدار نحو الجنوب الشرقي، بالإضافة إلى وادي زوزفانة الذي يعتبر من أهم الأودية بالواحة، والذي نشأ قديما عن طريق التعرية النشطة على فجّ تاغلة بواسطة واد جاء من الصحراء وأفرغ بحيرة سهل بغداد من مياهها، ليتصل بذلك بوادي الحلوف شمالا، وهُما حاليا يشكلان مجرى مائي واحد، فيسمى القسم الأعلى منه بوادي الحلوف، والقسم الأدنى بوادي زوزفانة، هذا الأخير يستمد مياهه من السهول المنحدرة من الجبال كجبل كروز.وتكمن أهمية وادي زوزفانة كمجرى مائي وحيد على السطح في المنطقة لسكان فجيج في استغلال جوانبه في النشاط الفلاحي[2].

2- المرتفعات:

هناك ثلاث مجموعات جبلية تحيط بالمثلث الفجيجي وهي: المجموعة الشمالية الغربية، المجموعة الشمالية الشرقية، والمجموعة الجنوبية.

[1] مزيان، المرجع نفسه، ص 27.

[2] مزيان، المرجع نفسه، ص ص 29 – 30.

* **المجموعة الشمالية الغربية:** أهمها جبل كروز الذي يمتد على مسافة 80كلم من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي[1]، وتتكون هذه المجموعة من طبقات صخرية تصل إلى أكثر من 900م[2].

* **المجموعة الشمالية الشرقية:** أهمها جبل العرجة وزريكة سيدي عبد القادر، يصل ارتفاعها إلى حوالي 1000م، تتكون من طبقات كلسية شبه أفقيّة، تتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وينحصر فيما بينها الحوض الأوسط لوادي زوزفانة قبل مروره في أقصى شرق السهل.

* **المجموعة الجنوبية:** عبارة عن حزام جبلي يحيط بالواحة جنوبا، يأخذ شكل قوس وهو مجزء إلى أربعة أجزاء وهي من الغرب إلى الشرق، جبل ملياس 1215م، جبل زناكة 1047م، جبل تاغلة 1115م، وجبل سيدي يوسف والذي يصل ارتفاعه إلى 1062م، ذات سفوح شديدة الانحدار، سواء منها المواجهة لسهل فجيج من جهة الشمال أو المواجهة لسهل بني ونيف والصحراء ناحية الجنوب[3] [4].

ج- المناخ والنبات بقصور فجيج:

يرتبط مناخ واحة فجيج على العموم بالمناخ السائد في المنطقة الذي يطبعه الجفاف، كمّا أن المنطقة تتعرض لحرارة تجعل من جوّها صافي خلال معظم شهور السنة، هذه الوضعية كان لها انعكاسات على الغطاء النباتي الطبيعي بهذه البيئة الصحراويّة، حيث تظهر أراضي الواحة وسفوح المرتفعات المحيطة بها عارية منه، وتزيد الرياح والزوابع الشديدة الجافة – الناقلة للأتربة والرمال- من تفاقم هذه الوضعية المناخية التي تعيشها الواحة[5].

تتحكم في مناخ فجيج عوامل كثيرة ومتعددة نذكر منها:

- الموقع الجغرافي للمنطقة المحصورة بين خطوط الطول ودوائر العرض.
- بعدها عن المؤثرات البحرية.
- قربها من الصحراء (مناخ شبه جاف).

[1] مزيان، المرجع نفسه، ص 31.
[2] بن زيدان، المرجع السابق، ص 161.
[3] مزيان، المرجع السابق، ص ص 31 – 32.
[4] انظر الملحق رقم 02.
[5] مزيان، المرجع نفسه، ص ص 35 – 36.

– إضافة إلى عوامل محلية المتمثلة في انتصاف جبال الأطلس الكبير الشرقي التي تحجز المؤشرات الأطلسية ممّا جعله يتصف بالقارية وسرعة التقلب[1].

من هنا نستنتج أن المناخ بفجيج قاسي نظرا لارتفاع درجة الحرارة وقلة الأمطار.

[1] بوزيان، المرجع السابق، ص 26.

تعتبر واحة فجيج منذ القديم ميداناً لتعايش أجناس مختلفة من البشر، حيث كوّنت قاعدة اجتماعية متباينة.وسنحاول فيما سيأتي أن نبحث في تلك الأمشاج والتي تشكل المجتمع الفجيجي.

ثانيا: فجيج بشريا

– التركيبة السكانية لقصور فجيج:

1– البربر:

تنطوي تحتها سائر سكان شمال إفريقيا، وبلاد المغرب الإسلامي، سواء كانوا من أهل السواحل، أو من أهل الدواخل أو من سكان الصحراء، أو من التلول والسهول، وهذا ما اتفق عليه جلّ النسابين والمؤرخين وذلك من خلال إرجاع أغلب العناصر السكانيّة الفجيجية إلى أصل بربري زناتي، ولعلّ ما يؤكد هذا القول هو سيطرة اللهجة الزناتية، والتي كانت منتشرة على اللسان الفجيجي، كمّا يضيف المؤرخين إلى أن القبائل الزناتيّة[1]،هم الذين أسسوا مدينة فجيج، وهم الذين شيدوا بها القصور منذ القديم– أي قبل دخول الإسلام إلى قصور فجيج– لتتقاطر عليها بعد ذلك فرق أخرى، وقامت بتأسيس قرّى ومداشر كثيرة في كل جهات الواحة، إضافة إلى قبائل صنهاجة[2] والتي تدفقت على المنطقة في عصر المرابطين، حيث أخذ انتشارها يتزايد، ورقعة نفوذها تتسع على حساب الزناتيين، لتنقسم بذلك الواحة إلى قسمين: سكان سهل وسكان هضبة[3].

---

[1] هم إحدى قبائل البربر بشمال إفريقيا، بحيث تتفرق قبائلهم في كل بلاد البربر، على أن أغلبها في الفيافي وفي الصحراء الممتدة من غدامس إلى المغرب الأقصى، ومنها جراوة، وبنو ايفرن ومغراوة.أمين واصف بك.**الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية**، تح أحمد ذكر باشا، دار المصرى للطباعة، مصر، 1916 م، ص 62.محمّد بن عميرة.**دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م، ص 15.طارق بن زاوي.**استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406– 454 هـ/ 1016– 1062 م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف نشيدة رافعي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 1429– 1430 هـ/ 2008– 2009 م، ص 28.

[2] اسم يطلق على جميع القبائل البربرية القاطنين بالصحراء الغربية لدى العرب، وعلى الأخص قبائل لمتونة التي كانت بين مراكش وبلاد السودان، وفي القرن 4هـ– 10م نزحت بعض قبائل لمتونة إلى الشمال، واحتلت جبال الأطلس، وزاحمت قبائل زناتة في مرافقها ومراعيها، ودخلوا المغرب الأوسط والأدنى، وفي القرن 5هـ–11م دخل ما بقي من صنهاجة بالصحراء الغربية في طاعة المرابطين، وأسسوا دولة من أكبر دول الإسلام في المغرب.ابن أبي دينار.**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط.3، دار الميسرة، بيروت– لبنان، 1993 م، ص 93، عبد الرحمان ابن خلدون.**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، 1431 هـ– 2000 م، ص 309.

[3] بوزيان، المرجع السابق، ص 61.

2- العرب:

من الصعب تحديد العناصر البربرية التي وفدت على قصور فجيج، باستثناء عدد قليل من العرب الخوارج، وذلك منذ القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي (2 هـ- 8 م)، وهذا ما نجده في مختلف المصادر المغربية المحليّة المهتمة بالسلالات والأنساب والتي أشارت إلى بعض العناصر العربية التي استقرت بفجيج وأهمها: الأشراف والعرب من العوام، وتضيف الوثائق أن الواحة إلى حدّ كبير من الهجرات التي انطلقت إلى المغرب من القيروان[1] والأندلس[2] [3].

أ- الأشراف: تشير أغلب الوثائق التي تحدثت في هذا الموضوع إلى نزوح طوائف من الأدارسة إلى فجيج، والسبب في ذلك أن موسى ابن أبي العافية[4] عزم على التنكيل بهم واستئصال شأفتهم، ومن هذا المنطلق يمكن أن تلك الضجة الكبرى والشكوك المحيرة التي أثيرت حول مسألة الشرف، والتي كان لها أهمية قصوى خاصّة على عهد العلويين، حيث عاش إبراهيم الفجيجي[5]، والذي حفظ ما يثبت ذلك في منظومة يبلغ تعدادها 137 بيت، وممّا ورّد فيها:

مَنْ يَدَعي نسْبَتَهُ وَدْغيريَة فَاللهُ أَعْلَمْ بتلْكَ الذُريَة

ممَّا أتَى بظَاهر ملوكـــي أَوْ التَواتر بلَا شُكُـوك

---

[1] مدينة عظيمة بإفريقية، أسسها عقبة بن نافع عام 50 هـ- 669 م، تقع في سهل شاسع الأطراف، تحيط بها الأسوار من كل الجهات، وهي أول حاضرة اسلامية بنيت في إفريقيا، ومن أهم آثارها: المسجد الجامع.كربخال، المصدر السابق، ص 62.ياقوت الحموي.**معجم البلدان**، ج4، ط.2، دار صادر، بيروت، 1995 م، ص 420.عبد الحق عفيفي.**موسوعة ألف مدينة إسلامية**، ط.1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2000 م، ص 377.

[2] إقليم عظيم في القسم الجنوبي من بلاد إسبانيا، كان في أول أمره قليل العمارة، ضئيل العمران، دخلته العرب فاتسعت عمارته، وكلمة أندلس مأخوذة من أندلوشيا، وهي كلمة إسبانية معناها القندال أو الوندال وهي أمّة من البرابرة، الذين أغاروا على المنطقة في القرن الخامس من الميلاد، وهم قبائل الفرنجة وقبائل برغنده وغيرهم من الأمم الجرمانية.واصف، المرجع السابق، ص 117.

[3] بوزيان، المرجع السابق، ص 62.

[4] هو موسى ابن أبي العافية بن أبي سهل بن أبي الضحاك بن مجدول بن تامريس بن فارديس بن ونيف بن مكناس بن ورصطيف ، قائد عسكري ينتمي إلى قبيلة زناتة، حكم كل من: فاس، طنجة، تازة وتسول، أجلى ابن أبي العافية الأدارسة بعد أن ملك فاس، كما ناهض دعوة العبيديين في المغرب، وتحالف مع عبد الرحمان الناصر لدين الله لمجابهتهم، لما علم عبيد الله المهدي بالتحالف سيّر جيشا بقيادة حميد بن تيسيل، الذي استطاع هزيمة ابن أبي العافية، الذي هرب إلى تسول، وبعد عودته إلى فاس أرسل الفاطمي جيشا آخر بقيادة الفتى ميسور الشيعي، الذي أجلى ابن أبي العافية عن فاس، وقد ظل ابن أبي العافية شريدا حتى مقتله عام 341 هـ، في بعض بلاد ملوية.علي ابن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي.**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص ص 83 – 86.

[5] سنتعرف لاحقا وبنوع من التفصيل على ترجمة ابراهيم الفجيجي.

نسبه فاحْكُمْ به في الظَاهر والله قَدْ يَتَوَلى السَرائَر [1]

ب– العرب من العوام: يتفق النسابين على أن أغلب القبائل العربية الموجودة بالشمال الإفريقي تنحدر من الأصول الثلاثة والمتمثلون في: العناصر الهلالية والتي تنحدر من بني عامر بن صعصعة[2]، وهي التي تشكل الكيان الهلالي الكبير، تليها جماعة بني سليم بن منصور[3]، وهاتان الجماعتان ترجعان بأصولهما إلى الشعب العدناني والذي يشكل هيئة العرب المستعربة في القديم، أما الجماعة الثالثة هي جماعة بني معقل والذين ينحدرون من أصول غير معروفة، وعروق مجهولة عند نسابة العرب.وقد كانت فجيج قديما معقلا لكثير من تلك الطوائف العربية، والتي تبربر لسان بعضها من خلال المصاهرة وبفعل قوّة تأثير العنصر البربري، بينما بقيت بعض القبائل العربية الأخرى محتفظة بشخصيتها ونذكر منها: بنو جابر[4]، أولاد جرير[5]، أولاد عمور[6]، بنو عامر[7]، وذوي منيع[8]، وبني معقل[9] [10].

[1] بوزيان، المرجع السابق، ص ص 62- 63.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري.**الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج2، تح تع جعفر الناصري ومُحَّد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء، 1954، ص 151.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 18.

[4] الجابريون أو الجبابرة، تطلق هذه التسمية على أحد بطون جشم، والتي هي عبارة عن عدّة بطون، وجشم هذا هو بن معاوية بن بكر بن هوازن، وقد زرع المنصور بعض من هذه الشعوب بفجيج.الناصري، المصدر نفسه، ص 37.بوزيان، المرجع السابق، ص ص 64.

[5] هم أولاد جرير بن علوان بن مُحَّد بن لقمان بن خليفة بن لطيف بن هندج بن مشرق بن أثبج، وهم من الرحل الذين وصلوا إلى المنطقة بوسائلهم الخاصة.بوزيان، المرجع نفسه، ص 65.

[6] ممن يلحقون بالأثبج، وهم من ولد عمرو بن عبد مناف بن هلال، القاطنين بالضواحي والجبال.ابن خلدون، المصدر السابق، ص 34.بوزيان، المرجع السابق، ص 65.

[7] هم بنو عامر بن زغبة، وقد تزاحموا مع بني معقل على فجيج، وقد ذكر الوزان أنهم ذوو شجاعة فائقة وثروة طائلة.عبد الرحمان ابن خلدون.**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج7، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1421 هـ- 2000 م، ص 249. الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص 42- 43.بوزيان، المرجع السابق، ص 65.

[8] من فصائل الأثبج، أخذوا تباعا إلى منطقة فجيج منذ القرن الهجري السابع (13م)، فأسسوا قصور الدفيلية، تمزوغت، المليلس...الخ، بوزيان، المرجع نفسه، ص 65.

[9] من أوفر قبائل العرب، ومواطنهم بقفار المغرب الأقصى مجاورون لبني عامر، وهم ثلاثة بطون: ذوي عبيد الله، ذوي منصور وذي حسان.ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 77.كربخال، المصدر السابق، ص ص 146 – 147.بوزيان، المرجع السابق، ص 65.

[10] بوزيان، المرجع نفسه، ص ص 64 – 65.

3- اليهود:

بما أن واحة فجيج كانت من أهم الطرق التجارية التي تمر منها قوافل التجار الرابطة بين الشمال الإفريقي والسودان، لذلك فقد استوطنتها جاليّة مهمّة من اليهود، والتي تواجدت بالمنطقة منذ وقت طويل-سابق لعهد السعديين- وقد تمركزوا في أحياء عتيقة خاصّة تسمى الملاح، وقد لعبت هذه الفئة دورا هاما في الحياة الاقتصادية، ولكن لاعتبارات دينيّة أحيلت على هامش الواقع الإجتماعي، فحرم عليها ممارسة بعض الأعمال كامتلاك العقارات والتدخل في الشؤون الداخلية للقصور، ولكن هذا لا يعني أن هذه الأقليّة كانت مقيدة، ذلك أن الوثائق المحلية تنيرنا بمعلومات واضحة على الجوّ الإجتماعي الذي ساد القصور ومختلف الأحياء التي كانت تقطن بها اليهود، والذي اتسمت بميزة مفعمة بالودّ والتسامح، كما أنهم تمتعوا بنوع من الحريّة سمحت لهم بممارسة بعض النشاطات الاقتصادية، والإندماج مع مختلف الفئات ولا سيمّا التجار[1].

4- الحراثين:

كما يسمون -أيضا- الحراطين، وهم يشكلون القاعدة السكانية الكبرى[2]، وقد تباينت الآراء والمواقف بين مختلف النسابين والمؤرخين حول أصل الحراثين، فمنهم من يرّى أنهم ينحدرون من سلالة الزنوج العبيد الذين كانوا يجلبون إلى الواحة، أو قدموا إليها في القرن العاشر لخدمة الأولياء وأرباب الزوايا، ومنهم من يعتبرهم فروعا من فصائل الكرامانت، وبالتالي كونهم من صميم أبناء الشمال الإفريقي وما هو ببعيد أن يتسربوا إلى قصور فجيج في وقت مبكر ليشكلوا إحدّى قواعدها البشرية. وقد كانوا يتمركزون بأحياء خاصّة بهم مثل حيّ الحدادة أو القصبة، وقد كثر عددهم في قصر الزناكة[3].

---

[1] بوزيان، المرجع نفسه، ص ص 66، 80- 81.

[2] أحمد مريوش وآخرون.**الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م، الجزائر، 2007 م، ص 210.

[3] بوزيان، المرجع السابق، ص ص 67 ، 81.

إن أقدم شيء نعرفه عن تاريخ فجيج القديم يرجع إلى بعض النقوش والشواهد التاريخية، والتي تم العثور عليها في مواضع عديدة من هذا الاقليم، خاصة تلك الآثار الموجودة على الجبال والصخور، والتي تقع في الجانب الغربي من الطريق الرابطة بين قصور فجيج وبني ونيف، والتي يرجع تاريخها إلى العهد الحجري الصناعي.

ثالثا: فجيج تاريخيا

أ- قصور فجيج في الفترة القديمة:

ممّا هو متداول لدّى جلّ المؤرخين والباحثين أن فجيج منطقة أثرية تحوي مجموعة من الرسومات والنقوش، والتي يرجع تاريخها إلى فترة ما قبل ميلاد، فهي تمثل مختلف الحيوانات مثل: الزرافة، الفيلة، النعام، الأسود وبعض الحيوانات الآهلة[1].

وممّا أثار اهتمام علماء الآثار والملاحظين بصفة خاصّة وجود صورة كبش يحمل بين قرنيه نجما مشعا، وهي تشبه الصورة الموجودة في معبد آمون بمصر[2]، إلّا أنها أبسط منها، الشيء الذي يدفع علماء التاريخ إلى الاعتقاد بأنها أقدم من تلك التي في معبد آمون بثلاثة آلاف سنة، ويؤكد المؤرخون على أن هذه الصورة – أي صورة الكبش- هي رمز للشمس، أمّا عن أصول عبادة الكبش فيعتقد البعض بأنه يوجد تقارب بين هذه العبادة وبين إله مصر، في حين يؤكد آخرون أن الكبش الصحراوي المنقوش لا يدين بشيء إلاّ للإله عمون الذي لم يخلق بعد[3].

إضافة إلى هذه الآثار والنقوش هناك رسومات أخرى تشكل مصدرا للتعرف على طبيعة الحياة بالمنطقة، وعوائد أهلها منذ فجر التاريخ، ومن هذه النقوش نجد صورة تمثل عملية حلب الأبقار، ومنها رسوم أخرى لعربات تجرها الخيول، ممّا يدّل على وجود طرق تجارية تمر على فجيج[4].

---

[1] العربي هلالي.**فجيج تاريخ وثائق وأعلام –المسجد العتيق والصومعة الحجرية بفجيج**، المطابع المغربية والدولية، 11 شارع الرباط- طنجة، محرم- أكتوبر 1981 م، ص 29.

[2] إقليم مشهور، يحده غربا صحاري برقة، نوميديا وليبيا، ويتاخم شرقا المفازات الواقعة بين النيل والبحر الأحمر، يصل شمالا إلى البحر المتوسط، كما يتاخم جنوبا إقليم البجة، والأماكن التي يحتلونها على النيل، ومصر كلها عبارة عن سهل خصيب بالحبوب والخضر، وقد قسمت مصر إلى ثلاث أقسام وهي: الريف، الصعيد والبحرية.الوزان، المصدر السابق، ص ص 185 – 186.

[3] بوزيان، المرجع السابق، ص ص 29 – 30.

[4] بوزيان، المرجع نفسه، ص 31.

ب- فجيج منذ الفتح الإسلامي إلى غاية القرن 10 هـ- 16 م:

إن أهم ما يعنينا من استعراضنا التاريخي لمنطقة فجيج هو الترجيح القوي بأن الواحة كانت تدين بالمسيحية قبل ظهور الإسلام، ولهذا الاعتبار في متناولنا أن نتساءل: كيف كان موقف أهل فجيج من زحف الدين الإسلامي للمنطقة؟

كان سكان ناحية فجيج قبل دخول الإسلام إليها، يدينون بالديانة المسيحية، وقد كان حجاجهم يترددون من حين لآخر على بيت المقدس، وصادف أن التقى هؤلاء الحجاج ببعض الصحابة الكرام، حيث هداهم الله للإسلام، ورجعوا إلى قومهم يحملون تعاليم الدين الإسلامي الحنيف[1].

وقد أشار الكثير من المؤرخين والباحثين أن قصور فجيج من بين أول جهات المغرب الأقصى التي وصل إليها الإسلام، وأنها من المناطق السباقة إلى الترحيب بالدين الجديد، ويعود الفضل في ذلك إلى هؤلاء الحجاج أو إلى دخول يدّ الفاتحين -أي امتداد الفتح الإسلامي- إلى المنطقة لنشر الدين الإسلامي الجديد وتعاليمه، ومن الضروري أن نشير إلى أن الواحة انتظمت منذ القرن الثاني للهجرة، الثامن الميلادي (2 هـ- 8 م) في المجال الذي سيطر عليه الخوارج[2]، وأنها منذ ذلك الوقت كانت طريق الحجاج المغاربة إلى المشرق[3].

إذا أردنا الحديث عن تاريخ فجيج المسلمة، لا بدّ من الإشارة إلى أن النصوص والوثائق المحلية التي نصت عليها أقل بكثير من الوثائق التي نصت عليها في الوقت السابق لظهور الإسلام، بل إنها لا تتجاوز بعض أقوال العابرة، أو ذات طابع تعميمي، والتي التقطناها من بعض أقوال المؤرخين

[1] هلالي، المرجع السابق، ص 31.

[2] كل من خرج عن الإمام الحق، الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجا، سواء كان الخروج أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان ، والأئمة في كل زمان، وكان أول خروجهم على أمير المؤمنين علي -ﷺ- حين خرج عن طاعته من كان معه في حرب الصفين، حيث جاءت أحاديث كثيرة في شأنهم، فقاتلهم علي بن أبي طالب -ﷺ- حتى انتصر عليهم انتصارا ساحقا، وهم فرق كثيرة أهمها: الأزارقة، الإباضية والصفرية.أبي الفتح مُحَمَّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، **الملل والنحل**، تح أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، ج1، ط.3، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1414 هـ- 1993 م، ص 132.

[3] بوزيان، المرجع السابق، ص ص 33 – 34.

والباحثين المهتمين بتاريخ قصور فجيج، سواء المحليين أو الفرنسيين كقول "مسكراي"Masquray : " إنه لا توجد واحات من قابس[1] إلى فجيج وسجلماسة[2] لا يرجع الفضل في تطورها إلى الخوارج"[3].

1- فجيج في عهد الدولة المرابطية والموحدية:

كانت قصور فجيج منذ الفتح الإسلامي آهلة بالزناتيين، إضافة إلى فرق أخرى تقاطرت على المنطقة بعد الإسلام، وقامت بتأسيس قرّى كثيرة كقصر تاوسرت (قصر أولاد سليمان حاليا)، وقصر أولاد جرار (قصر الوداغير حاليا)، بالإضافة إلى مداشر وقرّى أخرّى.

خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي (4 هـ – 10 م) وصل الشريف عيسى بن الشيخ عبد الرحمان الوتدغيري[4] ومعه أبناءه وحاشيته فنزلوا قرب جبل المعيز، ليستقر بهم الحال في بني ونيف، والذين كانوا يمثلون أغلب سكان المنطقة، إلى أن قرروا مغادرتها في اتجاهات مختلفة مع بعض القبائل الزناتية، والتي آثرت الهجرة على الدخول في الحرب مع قبائل صنهاجة، التي ظهرت بالمنطقة مع ظهور المرابطين[5].

بعد مناوشات وصراعات امتدت طوال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي (5 هـ– 11م) بين قبائل زناتة وقبائل صنهاجة في الواحة، انتهت باستقرار صنهاجة بالسهل وعلى امتداد الأودية المجاورة له جنوبا، شرقا وغربا، حيث أسسوا حصنا هاما قرب قصبة تاعزابت

---

[1] أو كاباي، وهي مدينة كبيرة وعريقة منذ القدم، شيدها الرومان، تقع على شاطئ خليج، يمتد من صفاقس إلى جربة، تؤمن سلامتها أسوار عظيمة، بها قلعة مشيدة على مقربة من مجرى مائي، يتألف معظم سكانها من السود، الذين يتعاطون صيد الأسماك والفلاحة.كربخال، المصدر السابق، ج3، ص ص 100 – 101.الوزان، المصدر السابق، ص 91.

[2] مدينة قديمة في أقصى جنوب المغرب الأقصى، بناها أحد ضباط الرومان، سميت في بادئ الأمر بمدينة ماسة، ثم سميت بسجلماسة، لها أسوار عالية وعدة أبواب، وتعتبر ممر للقوافل التجارية، وأهلها أهل سنة وقوم جياد، وبها عدد كبير من المؤسسات الثقافية؛ كالمساجد والمدارس. كربخال، المصدر السابق، ص ص 153 – 154.الوزان، المصدر السابق، ص ص 120، 127.أبو عبد الله المقدسي.**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987 م، ص 190.حسن حافظي علوي.**سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1418 هـ- 1997 م، ص 23.

[3] بوزيان، المرجع السابق، ص ص 34 – 35.

[4] هو الشيخ عبد الرحمان المعروف بالوتدغيري بن علي المكنى بأبي ابن اسحاق المكي بعبد العلا بن أحمد بن مُحَّد بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر، كان مهابا ومحترما، له مكانته، سواء في فاس أو في القبائل المجاورة، وكانت له علاقة خاصة بقبيلة أوتدغير، وله نفوذه عليها حتى لقب بالوتدغيري، وقد نزل بالوادي الأخضر بتادلة، واستقر هناك مع أولاده، ثم عاد ليستقر بفجيج، ومنه نزل أغلب الشرفاء القاطنين بها حاليا، هلالي، المرجع السابق، ص 33.

[5] هلالي، المرجع نفسه، ص ص 13، 33 – 34.

(قصر زناكة حاليا) والتي كان يسكنها بعض من ذرية عيسى بن عبد الرحمان–السالف الذكر– وكان هذا الحصن يعدّ المركز الرئيسي لقبائل صنهاجة التي استقرت في المنطقة، حيث كانت تعقد أسواقهم ومواسمهم، وتنطلق منهم قوافلهم، كمّا أسسوا مداشر كثيرة قرب الوديان وعلى منابع المياه، أمّا الزناتيين فقد تحصنوا في الهضبة وأوديتها وعلى منابع مياهها؛ كقصور تاوسرت وأجدير، وعلى وادي الحلوف، حيث كانت توجد قلعة الحلوف والتي كانت تعدّ من أهم مراكز زناتة في المنطقة.

مع حلول القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي (6 هـ- 12 م) عاد الاستقرار إلى الواحة، وبالرغم من هذا إلاّ أن التنافس بين سكان السهل–أي قبائل صنهاجة– وسكان الهضبة –أي قبائل زناتة– استمر طوال القرون الموالية حول منابع المياه التي توجد في الهضبة العليا قرب قصر الوداغير، والتي تعتبر المصدر الهام للماء في هذه المنطقة، وقد كان هذا النوع من النزاع سائدا حتى بين سكان الهضبة أنفسهم، إلاّ أن مضاعفاته كانت أقل حدّة وأقل خطرا[1].

أما في عهد الدولة المحمديّة فقد أسندت مهمة المحافظة على الأمن وتمثيل الدولة في ناحية فجيج لآل جابر[2]، حيث اتخذوا فجيج مقرا لهم، وقاموا بتأسيس قصبة على منابع الماء بالهضبة فقويّ نفوذهم بالمنطقة، غير أنه بعد زوال الدولة المحمدية تقلص هذا النفوذ ليشمل قصور فجيج فقط، لأن السيطرة على السلطة في هذه الفترة تعني السيطرة على منابع الماء، التي تعتبر المصدر الأساسي في هذه المنطقة، خاصة لما تشكله من خطورة على أراضيهم الفلاحية، والتي تسقى من هذه المنابع، الشيء الذي أعاد الإستقرار للواحة[3].

2– فجيج في عهد الدولة المرينية:

خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي (7هـ- 13م) أخذت قبائل بني هلال تصل إلى واحة فجيج، واستوطنوا المنطقة، حيث أسسوا المداشر والقرّى على حساب السكان الأقدمين

[1] هلالي، المرجع نفسه، ص ص 34 – 36.

[2] جد آل جابر القاطنين بفجيج، وهو عبد الله بن عامر، ينتهي نسبه إلى ميمون بن جابر بن مُحَمَّد الذي يكون قد عاش في نهاية القرن الرابع، وبداية القرن الخامس الهجري، ولقد خلف عبد الله ابن عامر هذا ابنين: الطيب وهو آل جابر القاطنين بزناقة، وأبو خدة وهو جد الذين يسكنون منهم بالوداغير. هلالي، المرجع السابق، ص 36.

[3] هلالي، المرجع نفسه، ص ص 36 – 37.

من صنهاجة وزناتة، وهذا ما أدّى إلى ظهور صراعات ومواجهات من جديد، كانت ضحيتها الأولى القبائل الزناتية، ولكن مع وصول فرق جديدة من الزناتة – المتمثلين في بني مرين – إلى الواحة اختل التوازن واشتدت نار التنافس بين القبيلتين من جديد.

بعد مناوشات واحتكاكات متعددة، أدّت إلى ظهور صراعات متكررة حول منابع الماء، حيث تمت السيطرة على هذه المنابع من طرف سكان السهل – أي قبائل صنهاجة – فبحكم موقعهم الجغرافي المنخفض كانوا يحاولون استجلاب أكثر ما يمكن من الماء، أما سكان الهضبة فتجدهم يقاومون ما أمكن حدوثه نظرا لخطورة الموقف على أراضيهم الفلاحية، والتي كانت تسقى من هذه المنابع، وبناء على ذلك التوتر الذي سادّ الواحة، فقد نزل الولي الصالح أحمد بن موسى البرزوزي، والذي ينتهي نسبه إلى الشيخ عيسى بن عبد الرحمان الوتدغيري–السالف الذكر– في بداية القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي (8 هـ- 14 م) في حومة المعيز، حيث أسس زاويته، والتي لعبت دورا هاما في نشر العلم والمعرفة في المغرب الإسلامي عامّة، وعلى مستوى منطقة فجيج خاصة، والتي أصبحت فيما بعد جزءا من قصر المعيز، وخلال الربع الأخير من القرن العاشر خرجت من فجيج بعض الفرق كبني عامر، وجاءت مكانها فرق أخرّى من بني مزاب وغيرهم، حيث استقروا بالحمامين الفوقاني والتحتاني، في حين تفرق الباقي على مختلف القرّى والمداشر المجاورة[1].

3– فجيج في عهد الدولة السعدية:

لقد صادف دخول السلطان مُحَمَّد الشيخ[2] السعدي إلى فاس عام 956 هـ/ 1549م[3] وجود جاليّة فجيجية مهمة بها، استقروا بالمنطقة سواء للتجارة، أو لطلب العلم في إطار توحيد المغرب[4]،

---

[1] هلالي، المرجع نفسه، ص ص 37 – 39.

[2] هو أبي عبد الله مُحَمَّد الشيخ، ولد سنة 866هـ، لقب بالمهدي، وقد عني بالعلم منذ صغره، فأخذ عن جماعة من الشيوخ، كان مولعا بتدبير أمور الرعية، حازما في أموره، وهو أول من استخرج الضريبة المسماة بالنايبة، كان له الفضل في القضاء على الحكم الوطاسي بفاس، وقد كان لمحمد الشيخ مآثر حسنة منها نهر سبوا ووادي أم ربيع، قتل يم الأربعاء 29 من ذي الحجة 964هـ.أبو العباس أحمد بن خالد الناصري.**الإستقصا لأحبار دول المغرب الأقصى**، تح وتع جعفر الناصري ومُحَمَّد الناصري، ج5، الدار البيضاء، 1955 م، ص 19، 37.كريم عبد الكريم.**المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية**، ط.2، الدار البيضاء، الرباط– المملكة المغربية، 1427 هـ– 2006 م، ص 68.مُحَمَّد صغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني.**نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، مطبعة بردين انجي، 1888 م، ص ص 42، 44.

[3] مجهول.**تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تق وتح عبد الرحيم بنحادة، ط.1، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، 1994، ص 78.

[4] بوزيان، المرجع السابق، ص 43.

غير أن المؤرخين لم يتطرقوا إلى السلطة بفجيج، فقط بعض الإشارات التي توحي إلى تواجد السلطة السعدية بالمنطقة[1]، إذ لا يمكن أن نحدد نوع العلاقة بين السلطة وأهل فجيج باستثناء ما يمكن استنتاجه من بعض الخطاطين، والتي تدّل على أنها تحسنت فيما بعد، والفضل في ذلك يرجع إلى العلماء والمرابطين وأرباب الزوايا، الذين كانوا يحصلون في مقابل خدماتهم على امتيازات مادية ومعنوية، كظهائر التوقير والاحترام[2].

بعد وفاة السلطان مُحَمَّد الشيخ عرفت الواحة بعض التوتر نتيجة الظروف السياسية المضطربة، والتي ترجع أسبابها إلى الصراع على السلطة بين ابني مُحَمَّد الشيخ، المولى عبد الملك[3] وأخيه المولى عبد الله الغالب[4]، والذي عزم على قتل أخويه ليصفوا له الجوّ، من هنا يتضح أن واحة فجيج كانت في مقدمة المناطق التي حظيت باهتمام سلاطين المغاربة وحتى الدول الأجنبية[5].

وينبغي ألاّ تفوتنا الإشارة إلى أن السلطان أحمد المنصور[6] قد اختار الواحة لتكون معبرا، ومحطة استراحة لعساكره الذين سيتوجهون عام 990 هـ/ 1582 م لإخضاع إقليم توات وتيكورارين[7]،

---

[1] مزيان، المرجع السابق، ص 85.

[2] بوزيان، المرجع السابق، ص 44.

[3] هو أبي مروان بن عبد الملك بن أبي عبد الله السلطان مُحَمَّد الشيخ الشريف، الملقب بالمعتصم، استولى على فاس بعد هزيمته لابن أخيه، وكثيرا ما كان عبد الملك يتزيا بزي الأتراك ويجري مجراهم في كثير من شؤونه، كما كانت له في فاس محبة تامة وكان يظهر على أنه ولي عهده، مات مسموما ودفن بمراكش، وقد كانت مدة خلافته أربعة أعوام.الوفراني، المصدر السابق، ص ص 63، 77.الناصري، المصدر السابق، ص ص 61 – 62.

[4] هو أبي مُحَمَّد عبد الله الغالب بالله بن السلطان مُحَمَّد الشيخ، ولد بتارودانت سنة 933هـ- 1526 م، ولقب بالغالب بالله، حفظ القرآن الكريم، وكان بصيرا بالعلم، فقيها، مشاركا في الفنين وأديبا، مجيدا للنظم والنثر، بويع بفاس عام 964 هـ – 1557 م، وكان عبد الغالب ذا سياسة وخبرة بالملك، ومن أهم انجازاته بناءه لجامع المواسين بحضرة مراكش، توفي في 27 رمضان 981هـ – 1574 م، بسبب غم كان يعتريه. الوفراني، المصدر السابق، ص ص 45 – 46، 57.الناصري، المصدر السابق، ص ص 38 – 39. عزيز سامح ألتر.**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر مُحَمَّد علي عامر، ط.1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1409 هـ- 1989 م، ص 235.

[5] بوزيان، المرجع السابق، ص 45.

[6] هو أبي العباس بالله أحمد المنصور، الملقب بالذهبي ابن مُحَمَّد الشيخ، ومسعودة بنت الشيخ الأجل أبي العباس، ولد بفاس 956 هـ- 1549 م، بويع بفاس بعد موقعة وادي المخازن، وقد كان المنصور شجاعا حسن السياسة، مشاورا في قوام الأمور، خيرا بالعلوم، متطلعا بالفنون، ومن أهم انجازاته بناءه قصر البديع بمراكش، بالإضافة إلى عدد كبير من المدارس والمساجد، توفي عام 1052هـ – 1627 م.الوفراني، المصدر السابق، ص ص 79 – 80، 188.الناصري، المصدر السابق، ص ص 89 – 90، 134.أحمد بن مُحَمَّد المقري.**روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، ط.2، المطبعة الملكية، الرباط، 1403 هـ- 1983 م، ص 28.

[7] تعني بالبربرية الثكنات العسكرية، وتسمى اليوم كورارة، وتقع شمال توات بصحراء نوميديا، يسكن أهلها بخمسين قصرا وبأكثر من مائة مدشر وسط النخيل الفسيح، وتشكل هذه المنطقة نقطة التقاء القوافل التجارية، وكثيرا ما تتعرض كورارة للجفاف ما يجعل الفلاحة بها عسيرة.كربخال، المصدر السابق، ص 163.الوزان، المصدر السابق، ص 133.

تمهيدا لفتح السودان[1].وهذا دليل قاطع على استمرار السلطة السعدية بقصور فجيج[2].

من هنا نستنتج أن منطقة فجيج ومنذ القديم تعتبر من أهم المناطق المغربية التي حظيت باهتمام السلاطين المغاربة، حتى أنها كانت محط أنظار الدول الأجنبية، نظرا لأهميتها التاريخية وموقعها الجغرافي المتميز، والذي جعل منها ممر للقوافل التجارية ومحطة استراحة لعساكر الدولة السعدية.

[1] أبي فارس عبد العزيز القشتالي.**مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تح كريم عبد الكريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، د.ب، د.ت، ص 73.

[2] بوزيان، المرجع السابق، ص 47.

إن الحديث عن الجانب الاقتصادي لفجيج يعني بالضرورة الحديث عن الثورة والجاه لسكان هذه المنطقة، فقد عرفت الواحة خلال القرن الهجري العاشر، السادس عشر الميلادي (10 هـ – 16 م) مكانة اجتماعيّة مرموقة بين مختلف دول المغرب الإسلامي، ويعود الفضل في ذلك إلى التطور والنمو الاقتصادي الذي عرفته المنطقة أنذاك، ضّف إلى ذلك اهتمام الفيجيجيين بكل القطاعات (الزراعة، التجارة والصناعة) التي تعود عليهم بالفائدة والربح الوفير.وسنحاول من خلال ما سيأتي أن نستعرض كل قطاع على حدّى للتعرف على الحياة الاقتصادية بقصور فجيج.

رابعا: الحياة الاقتصادية بقصور فجيج في عهد السعديين

أ– الزراعة وتربية الحيوانات:

إن الثروة والمكانة بقصور فجيج كانت تقاس لاعتبارات منها: كثرة الأملاك، لذلك اهتم الفجيجيين بالإنتاج القائم على خدمة الأرض وغرس النخيل وزراعة الحبوب، وتربية الماشية وشراء الأراضي، وحرصوا على الاحتفاظ والعناية بها.

1– غرس النخيل: تعتبر أشجار النخيل أهم مورد فلاحي عرفته الواحة[1]، وممّا لاشك فيه أن هذه الأشجار كانت تنتج تمرا جيدا ذو نوعية وجودة عالية[2]، وبالرغم من تراجع محصول التمر بفجيج، إلاّ أنها لم تفقد مكانتها وأهميتها الاقتصادية ولا شك أن التمور كانت تمثل الغذاء الأساسي اليومي للسكان، وذلك قبل أن يتوسع الاستغلال الفلاحي ويتنوع، ويرتفع المستوى المعيشي مع التطور الديمغرافي، وتغيير التركيب السكاني[3].

ولأن النخلة أساس معاش الفيجيجيين، ونشاطهم التجاري، فقد كانوا يعيشون من بساتينها، والتي يبلغ عدد نخلها 200 ألف نخلة[4]، فإنها بذلك كانت تشكل دوما الأهداف التي تتجه إليها النيران والبنادق كلمّا شب ضرام الشر، وصرحت العداوة بين قصور الواحة، لذلك غالبا ما نرّى

[1] الوزان، المصدر السابق، ص 132.
[2] كربخال، المصدر السابق، ص 162.
[3] بوزيان، المرجع السابق، ص 113.
[4] بن زيدان، المرجع السابق، ص 161.

الفلاح الفيجيجي يحرص أرضهُ أوقات المناوشات العدائية.وعليه فظاهرة حراسة العقارات الفلاحية وحمايتها كانت عند الإنسان الفيجيجي جزءا من دفاعه عن نفسه وعرضه[1] [2].

2- زرع الحبوب: لقد اعتبرت الأرض المغربية عامّة والأرض الفجيجية خاصّة من أخصب أراضي المغرب الإسلامي كلّه، حتى أن المؤرخين القدماء اعترفوا للمغاربة باعتنائهم بزراعة الحبوب كالقمح والشعير[3]، حيث كان أهل فجيج يزرعون الحبوب في مساحات تسمى في وثائقهم بالمطارق[4].

لقد كان أهل فجيج إذا حان أوان الحصاد خرجوا إليه بمناجلهم في شبه أوراش جماعية، بحيث كان يحكمها نظام التويزة، وكانت المناجل تصنع محليًا من قبل أسر توارثت الحدادة كابراً عن كابر، كمّا أنه لم يخل منزل من بهيمة أو دابة -يسمونها بلغتهم المحلية بالزايلة- نظراً لمنافعها الكثيرة[5].

كان سكان فجيج كثيراً ما يفضلون غلةَ التمر على غلةَ القمح، لأنَ هذه الأخيرة مهما كثُرت لا تكفي لنصف سنة، أمَا إذا جاءت غَلة التمر فإن القمح لا ينعدم حينئذ، فكثيراً ما كانوا الأعراب والجمالين الذين يتعاطون تجارة التمر يأتون بكميات ضخمة من القمح والشعير لاستبداله بالتمر.

وبما أن النشاط الفلاحي لا يمكن أن يستمر بلا ماء وأن مصير الفجيجيين كان رهنا بوجوده، وكان أهل فجيج يعملون على حفر الآبار، والبحث عن العيون المائية، وقد كان الانتهاء من حفر بئر أو الكشف عن عين مائية يعتبر انجازاً عظيما، لولا الصراعات الإجتماعية التي كانت تنشب على إثرها بين سكان القصور[6].

عرفت فجيج كغيرها من المجتمعات الزراعية في المغرب نظام الخماسة، والخماس هو المزارع الأجير الذي يتعاقد بعقد عرفي مع صاحب الأرض، على أن يكون له خمس المحاصيل مقابل القيام بأعمال زراعية معينة؛ كغرس النخيل، والقيام بمهام الحرث والسقي والحصاد إلى غير ذلك من الأعمال

---

[1] بوزيان، فجيج في عهد السعديين..، ص 69.

[2] انظر الملحق رقم 03.

[3] بوزيان، واحة فكيك تاريخ وأعلام..، ص 115.

[4] بوزيان، فجيج في عهد السعديين..، ص 71.

[5] أحمد بن أبي بكر السكوني الشريف الفجيجي.**تقوية إيمان المحبين في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن مُحَّد ابن أبي سماحة**، تح طواهرية عبد الله، د.ط، د.ب، د.ت، ص 126.

[6] بوزيان، المرجع السابق، ص ص 69، 72 – 73.

التي يتفق عليها وربّ البستان، وتذكر مناقب الشيخ عبد القدر بن مُحَّد بن أبي سماحة[1] أن خدامه اللازمين له كان له خماس يتولى شؤون بحيرته[2].

3 – تربية الماشية: إلى جانب النشاط الفلاحي كان سكان فجيج يشتغلون بتربية الماشية، كعمل إضافي يساهم في تغطية احتياجات الأسر من لبن وصوف، إذ كان بحوزة الأثرياء كأرباب الزوايا والأشراف ثروة حيوانية معتبرة للاستهلاك وإنتاج الصوف والسمن، وأعداد هائلة من الجمال والخيول، لاستخدامها في التنقلات وتسويق البضائع، غير أن العدد الأكبر كان للماشية[3].

كانت ماشية الفجيجيين تتكون في معظمها من الضأن والمعز والبقر، حتى أنه لم يخل منها بيت غني أو فقير، إضافة إلى الإبل سيد الصحراء وأكثرها فائدة ونفعاً، وأشدها تحملاً وصبراً، حتى أنه كان منها أعداد كبيرة بفجيج[4].

ب– التجارة:

لم تقتصر الحياة الاقتصادية بقصور فجيج على الجانب الفلاحي فحسب، بل تعددت ذلك إلى القطاع التجاري، فبالرغم من إشادة الباحثين الفرنسيين بالواحة كمفرق طرق بارز في إفريقيا الشمالية منذ القديم، إلاّ أن النصوص العربية المغربية لم تفدنا إلاّ بما يلقي الأضواء على وضعها في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (10 هـ- 16 م)[5]، فقد أشار بعض المؤرخين في تاريخ فجيج إلى تعاطي الفجيجيين للتجارة في بلاد السودان[6]، لذلك تراهم يهاجرون بكثرة إلى الشمال للإتجار[7].

[1] سنتعرف لاحقا وبنوع من التفصيل على ترجمة الشيخ عبد القادر بن مُحَّد بن أبي سماحة.
[2] السكوني، المصدر السابق، ص 178.
[3] بوزيان، واحة فكيك تاريخ وأعلام..، ص 118.
[4] بوزيان، فجيج في عهد السعديين..، ص ص 76 – 78.
[5] بوزيان، واحة فكيك تاريخ وأعلام..، ص 118
[6] الوزان، المصدر السابق، ص 132.
[7] بن زيدان، المرجع السابق، ص 161.

لقد استفادت واحة فجيج من التجارة في بلاد السودان، لتتبلور بها مجموعة من الأنشطة الاقتصادية الهامّة والنفيسة، والتي ستصدر إلى فاس وسائر مدن بلاد البربر ما فتح المجال أمام قيام الأسواق الصغيرة داخل وخارج المنطقة، وتعدد السلع وكذا فتح طرق المواصلات.

1- الأسواق:

يمكن تصنيف أسواق فجيج إلى ثلاث خانات:

* **أسواق عادية:** وتتحدد وظيفتها في الاستجابة لمتطلبات الحياة اليومية.

* **أسواق أسبوعية:** تقوم مرة في كل أسبوع بين أهل البلد وسائر القبائل المجاورة.

* **أسواق استثنائية:** عبارة عن تظاهرات تجاريّة كبيرة، تنعقد كلمّا وفدت قوافل التجار والحجاج.

2- السلع:

أما بالنسبة للبضائع التي كانت تعرض في أسواق فجيج فقد تعددت وتنوعت منها: الحرير، الحياك، الزرابي الصوفية، أنسجة الكتان، الملابس القطنية، المرجان، والمصنوعات الزجاجية ، إضافة إلى مختلف أنواع الدهون والأعشاب الطبية، علاوّة على هذا نجدّ –كذلك- الحناء، التبغ، السكر، الورق، والملح الذي لا يقدر بثمن في السودان، بالإضافة إلى أشياء أخرّى كالحلي وبعض الحوائج الخاصة بالنساء[1].

3- طرق المواصلات:

كانت فجيج محور طرق رئيسية متعددة تربطها بفاس تماما كما تربطها بالمشرق وإفريقيا الغربية، ويمكن تحديد المناطق التجارية التي كانت تنطلق أو تمر عبر فجيج في أربعة طرق رئيسية وهي:

* طريق إلى تافيلالت ومنها إلى فاس.

* طريق إلى فاس عبر وجدة[2].

[1] بوزيان، المرجع السابق، ص ص 119 – 121.

[2] أسسها الأمير الزناتي زيري بن عطية المغراوي عام 348 هـ- 994 م، على أنقاض مدينة زناتية قديمة، وقد جدد يوسف بن يعقوب المريني عام 697 هـ- 1298 م بناءها، وقد شيد فيها مسجدا كبيرا إلى جانب القصبة السلطانية.كرخال، المصدر السابق، ج2، ص 294.حجي، المرجع السابق، ص 431.

* طريق إلى تلمسان[1]، وفي المصادر ما يؤكد – فعلا– وجود طريق تجارية تربط تافيلالت بتلمسان عبر فجيج.

* طريق إلى السودان[2].

أما بالنسبة للأهمية التجارية لواحة فجيج، فهي بلا شك تتميز بنشاط متعاظم، وإسهامات الفجيجيين من خلالها عوائد كبيرة سواء داخل أسواق فجيج أو في الأسواق التي تدفقوا عليها كفاس، وجدّة، تلمسان، تافيلالت، توات...الخ، وتعتبر هذه المدن المجال الذي تركز فيهم معظم نشاطهم بدرجات متقاربة، أما بخصوص الكيفيّة التي كانت تتم بها المعاملات التجاريّة، يستفاد من بعض التقاليد أن الصفقات كانت تعقد بواسطة نظام الدفع بالدراهم السكيّة، ثم التجأ التجار إلى أسلوب المقايضة[3].

ج– الصناعة:

لقد كان من النتائج الإيجابية التي ولدتها الحركة التجارية بفجيج، أن ارتفعت من مجرّد مجمع للقوافل ومستودع تجاري، إلى مركز شهد ميلاد مجموعة من الصناعات التي تعتمد في مواردها الأولية على الثروات الغابوية والحيوانات والمعادن المتاحة، وقد جندت هذه الصناعات في إطارها مجموعة من المهارات، تنتمي خاصّة إلى الفئات العامّة واليهود والحراثين[4].ومن هذه الصناعات نجدّ:

1– صناعة النسيج: عمل نسائي يدّوي، تحتل مكان الصدارة في لائحة الصناعات الفجيجية، حيث كانت النساء الفجيجيات ينسجن ثياباً من الصُوف على شكل أغطية سرير[5]، لكنها دقيقة وجيدة الصنع، حتى يظُن المرء أنها مصنوعة من حرير، وتباع بثمن مرتفع في مدن بلاد البربر كفاس

[1] من أهم مدن الجزائر، يحدها غربا نهر ملوية والواد الكبير، وصحراء نوميديا جنوبا، كانت عاصمة للزناتيين، عرفت ازدهار وتطور كبيرين في عهد الموحدين، وبني عبد الواد، حتى أصبحت كما يقول ابن خلدون أعظم أمصار المغرب. الوزان، المصدر السابق، ص ص 7 – 8.كربخال، المصدر السابق، ص 298.الحسني، المرجع السابق، ص 41.

[2] بوزيان، المرجع السابق، ص 82.

[3] بوزيان، واحة فكيك تاريخ وأعلام..، ص ص 122 – 123، 125.

[4] بوزيان، المرجع السابق، ص 127.

[5] الوزان، المصدر السابق، ص 132.

وتلمسان[1].ومن أشهر أنواعها وأكثرها تداولاً: الحائك، الجلاليب، البرانيس والسراويل، كما تستعمل كأفرشة وأغطية[2].

2- صناعة البارود: تزخر واحة فجيج بوجود مساحات خاصّة، تتربع عليها صخور متفاوتة الحجم، محفور وسطها بعناية فائقة تسمّى باللهجة المحلية: "آفردو نبارود" وبلغتنا المعاصرة المقصود بهَا معامل البارود، إذ كان يتم فيها دق مواد البارود الأولية وخلطها ثم تصنيعها.وقد ظهرت هذه الصناعة على عهد السعديين، والتي عرفت تجارة رائجة وسوقا نافقة بكميات هائلة[3].

3- صناعة الفخار: كانت هذه الصناعة حكرا على طبقة الشرفاء والأعيان والميسورين الحال، وقد اعتمدت هذه الصناعة أساساَ على المهارة اليدويّة، وقد عرفت انتشاراً واسعاً في شتى أنحاء الواحة، إذ كان الفخاريون ينزلون ببعض مناطق المغرب، ويصنعون التحف النادرة ويكوّنون الكفاءات القادرة وينمون المهارات، وقد امتازت هذه الصناعة بالأصالة والتراث.

4- صناعة الجلد والمجوهرات: دخلت هذه الصناعة قصور فجيج مع مجيء اليهود الذين اشتهروا في الصياغة، وهي صناعة أصيلة، عرفت ازدهار كبير، وشغلت العديد من الأيادي العاملة، وقد تمثلت هذه الصناعة في الجلود، الحلي، اللبان، العقيق والذهب.

5- صناعات أخرى: هناك مجموعات أخرّى من الصناعات التي عرفتها الواحة، منها صناعة الخشب، المعدن، البناء...وغيرها، وإن غلب عليها طابع البساطة أظهرت مجموعة من المهارات والكفاءات البارزة، لاسيما في باب النجارة والتشييد العمراني.وللتعرف أكثر على هذه الصناعات نشير إلى ضريح الإمام عبد الجبار[4]، والذي كان عبارة عن شباك خشبي رائع الصنع والإتقان تتخلله بوييات جميلة[5].

[1] كربخال، المصدر السابق، ص 162.
[2] بوزيان، المرجع السابق، ص 128.
[3] بوزيان، المرجع نفسه، ص ص 129 – 130.
[4] سنتعرف لاحقا وبنوع من التفصيل على ترجمة الإمام عبد الجبار.
[5] بوزيان، المرجع السابق، ص ص 130 - 132

من خلال ما سبق نخلص أن تاريخ فجيج يرجع إلى أحقاب زمنية بعيدة المدّى، كما تدّل على ذلك مختلف الرسوم والنقوش، والتي تشهد على أن منطقة فجيج كانت مسرحا للعديد من الأحداث على مرّ الزمان، إذ تشكل نقطة احتكاك بين السكان الأقدمين والعناصر الجديدة النازحة إلى المنطقة، سواء منها القادمَة من الجنوب الغربي كقبائل صنهاجة وبني مرين، ومن الجنوب الشرقي كقبائل بني معقل، وحتى الأجانب كالأتراك، أو من الشمال الغربي مثل الموحدين والسعديين. كما تمثل واحة فجيج ملتقى للطرق التجارية الرابطة بين الشمال والجنوب، وما بين الشرق والغرب، ما سمح لسكان هذه المنطقة بتطوير نشاطاتهم الاقتصادية، وبالتالي تفرغهم للعلم، ليتمكنوا بذلك من أن ينقشوا اسم فجيج العالمة في المشهد الثقافي المغربي، وهذا ما سنستعرضه في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

الزوايا بفجيج خلال القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي

(10هـ/16م)

أولا: النبذة في حياة مؤسسي الزوايا بقصور فجيج

أ- عبد القادر بن مُحَمَّد والمعروف بسيدي الشيخ

ب- الإمام عبد الجبار الفجيجي

ثانيا: أهم زوايا فجيج خلال القرن 10هـ-16م

I. الزوايا الصوفية "زاوية سيدي الشيخ انموذجا"

1- تأسيس زاوية سيدي الشيخ

2- الطريقة الشيخية

3- سند الطريقة الشيخية

4- أوراد الطريقة الشيخية

5- المنهج التربوي للطريقة الشيخية

II. الزوايا العلمية "زاوية عبد الجبار نموذجا"

1- تأسيس زاوية عبد الجبار

2- خزانة زاوية عبد الجبار

3- إسهامات العلماء بزاوية عبد الجبار

4- العلوم المدرَسَة بزاوية عبد الجبار

ثالثا: أدوار الزوايا بقصور فجيج

أ- الدور الإجتماعي

ب- الدور التعليمي

ج- الدور السياسي

رابعا: مصادر تموين الزوايا بفجيج

أ- الأوقاف

ب- الزيارات والهدايا

ج- التبرعات

من أبرز مميزات العهد السعدي بالمغرب الأقصى عامّة وبقصور فجيج خاصّة انتشار الزوايا حيث عاش معظم العلماء والشيوخ يبثون عقائدهم، ويلقنون مريديهم وأتباعهم الأذكار، الأوراد وعامّة مبادئ الدين الإسلامي، مبتعدين بذلك عن صخب الحياة الدنيا وملذاتها، ومن بين هؤلاء نجد: الولي الصالح عبد القادر بن مُحَّد والإمام عبد الجبار.

أولا: النبذة في حياة مؤسسي الزوايا بقصور فجيج

أ- عبد القادر بن مُحَّد والمعروف بسيدي الشيخ:

1- إسمه ولقبه:

هو عبد القادر بوسماحة[1] من أهم الأسماء البارزة في عالم الصوفيّة، والأكثر شهرة في الجنوب الشرقي المغربي، والجنوب الغربي الجزائري على الصعيدين: الديني وكذا التاريخي، وهذا ما يدّل عليه اسمه الملقب به "سيدي الشيخ" والذي يعني علو مكانته ومشيخته، وهو مؤسس الطريقة الشيخية، التي تعتبر من أحدث الطرق الصوفية نشأة في شمال إفريقيا[2].

2- نسبه:

يرتفع نسب الولي الصالح عبد القادر بن مُحَّد بن سليمان من نسل أبي سماحة ابن ليلى بن أبي يحيا بن عيسى بن معمر بن سليمان بن سعد بن عقيل بن حرمة الله بن عسكر بن زيدان بن يزيد بن طفيل بن المضي بن أزراو بن زعفران بن صفوان[3]، من نسل الصحابي الجليل سيدي مُحَّد بن

[1] أحمد بن مُحَّد العشماوي. **السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب**، المطبعة الخلدونية، تلمسان، 1381 هـ- 1961 م، ص 298.

[2] مختارية ياحي ويمينة ميدون. **الطريقة القادرية ودورها في المقاومة الشعبية خلال القرن 19**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف فطيمة حباش، قسم التاريخ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة ابن خلدون – تيارت، 2014- 2015 م، ص 90.

[3] حدة تومي. **المنهج التربوي للعلامة سيدي الشيخ**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم النفس التربوي، إشراف إبراهيم ماحي، قسم علم النفس وعلوم التربية، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة وهران، 2012 – 2013 م، ص 9.

عبدالرحمان بن شيخ الصحابة، وخليفة الرسول ﷺ سيدنا أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – لذلك كانوا أفراد هذه العائلة يلقبون ببوبكرية أو أولاد بوبكر[1].

ومن جهة أمه يرتفع نسبه إلى الدوحة النبويّة الشريفة، إذ والدته هي السيدة شفاريّة بنت الشريف سيدي علي بن سعيد من شرفاء الوداغير[2]، وإلى نسبه أشار في الياقوتة بقوله:

فَإني عبدُ القـــادر بنْ مُحَّد سَليلُ أَبي بَكر الربيع نجلُ السَماحَة

وَلَا فَخْر غَيْر أَني عبدُ القَادر وأَحمد تـاجُ الرسُول أَقْوَى وَسيلَتي[3]

3– مولده:

ولد الشيخ سيدي عبد القادر بن مُحَّد بن سليمان –رحمه الله– بضواحي الشلالة الظهرانية[4]، ببلدة الأبيض –"حاليا ولاية البيض بالجزائر"[5] والتي أصبحت فيما بعد تحمل إسم الأبيض سيدي الشيخ[6]– سنة 940 هـ/ 1533 م، اشتغل في بداية حياته على يد والده الفقيه الأجل سيدي مُحَّد[7]، وقد ظهرت عليه الكرامات وخوارق العادات منذ ولادته[8]، ولم ينشب أن شرق صيته وغرب، وأقبل عليه المريدين إقبالًا لافتاً للنظر[9].

1Louis Rinn. **Marabouts et Khouans L'islam en Algérie**, Alger, Jourdan, 1884, p 351.

[2] المهاجر، المرجع السابق، ص ص 3 – 4.

[3] عبد الله طواهرية. **تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة البكري الصديقي المتوفى سنة 946 هـ / 1540 م دفين بني ونيف**،المطبعة العربية 11 نهج طالبي أحمد، غرداية، أدرار، 2002 م، ص 41.

[4] طواهرية، المرجع نفسه، ص 41.

[5] علي بطاش. **لمحة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ حداد وثورة 1871 م**، ط.2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 م، ص 22.

[6] بلحيا بودوابة. **التصوف في بلاد المغرب العربي**، ط.1، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م، ص 56.

[7] تومي، المرجع السابق، ص 9.

[8] المهاجر، المرجع السابق، ص 5.

[9] بوزيان، فجيج في عهد السعديين..، ص 280.

4- ظروف نشأته:

نشأ الشيخ سيدي عبد القادر في جوّ من الصراعات، التي مرَّ بها تاريخ المغرب الإسلامي، والتي كان فيها العالم الإسلامي محور صراع بين الإسبان والأتراك، وفي ظلّ هذه المناوشات والتحرشات الصليبيّة نشأ العلامة الفقيه والولي الصالح سيدي الشيخ[1].

بالإضافة إلى استعدادات الشيخ عبد القادر للدراسات الدينيّة منذ صغره، فقد اشتهر – أيضا– بتقواه وشجاعته في محاربة الدخلاء الإسبان، وقد تعددت أوجه مساهماته في المقاومة، منها مساهمته القتال بنفسه، ومشاركته في عدة هجومات ومعارك وأعمال فدائية بوهران[2] ونواحيها، حيث كان سيدي الشيخ يهاجم الإسبان من حين لآخر على حصانه المعروف بالشهبة، ومنها حثه على الجهاد ودعوته لذلك[3].

5- تعليمه:

لقد نشأ سيدي الشيخ في بيت علم وتقوّى، حيث تكفل والده الفقيه سيدي مُحَمَّد بن سليمان بتنشئته تنشئة دينية، حيث اشتهر عبد القادر بن مُحَمَّد بحدّة ذكاءه منذ طفولته، إذ بدا عليه منذ ذلك الحين ميل كبير نحو الدراسات الإسلاميّة، ونبوغ خاص في علوم الشريعة، فقد حفظ سيدي الشيخ القرآن الكريم واستظهره صغيرا على يدّ والده، كمّا انتفع بجدّه العلامة العارف الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة[4].

---

[1] تومي، المرجع السابق، ص 10.

[2] كانت وهران عبارة عن قرية صغيرة اسمها إيفري أي الكهف، ثم وسعها الأندلسيون، وهي حاليا من أعظم المدن الجزائرية عمرانا واتساعا وحركة من العاصمة الجزائرية، بها البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة من مساجد ومدارس..، محاطة بأسوار عالية، يقع جزء من المدينة في السهل، والجزء الآخر في جبل شديد الإرتفاع، وكان معظم سكانها من الصناع والحاكة.الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 30.مسلم بن عبد القادر. **ذخائر المغرب العربي (تاريخ بايات وهران المتأخر) أو أنيس الغريب والمسافر**، تح وتق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ب، 1394 هـ/ 1974 م، ص 6، أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المطبعة العمرية، الجزائر، 1354، ص 245.

[3] تومي، المرجع السابق، ص 11.

[4] خليفي، المرجع السابق، ص 25.

استوطن سيدي الشيخ الشلالة الظهرانية، حيث أخذ عن أخواله الشرفاء الوداغير، ثم ارتحل –رحمه الله– ليجول مناطق أخرّى من صحراء المغرب الكبير كتوات وتيكورارين، فأخذ عن الفقيه النحوي والأديب الشيخ أبي عبد الله سيدي بن مُحَّد بن مشرف الراشدي، والعلامة الشيخ أبي القاسم بن مُحَّد بن عبد الجبار، والإمام العلامة الأديب الشيخ أبي عبد الله سيدي مُحَّد بن بهلول، كما أخذ عن الشيخ الفقيه والمعروف بالبودخيلي، كمّا أخذ عن عمّه الولي الصالح الشيخ أبي العباس سيدي أحمد المجذوب المعروف بـ "الحمياني"، والشيخ موسى بن حسن الكرزازي، وبتلمسان أخذ عن الشيخ العارف بالله الحاج بن عامر الشهير بالشريف التلمساني والملقب بالعبد الوادي، كمّا أخذ عن الشيخ أبي القاسم الجراري، والشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم[1]، ثم أشاروا عليه – أي على سيدي الشيخ– بوجود شيخ العصر والقطب الزمان بالمكان المعروف بقصر السهلي على ضفّة وادي كير، وهو العارف الشيخ المربي الشهير أبو عبد الله سيدي مُحَّد بن عبد الرحمان السهلي الجرجري الذي لازمه وأخذ عنه[2].

بعد عودة سيدي الشيخ إلى فجيج استوطن قصر الوداغير، فتوّلى إمامة المسجد العتيق وتصدر للإقراء به، وتكوين المريدين، ثم سافر إلى الحج، وقد بقي في رحلته تلك ثلاث سنين، ثم ذهب إلى بني ونيف حيث تولى إمامة مسجدها[3].

6– مزاياه وخصاله:

من طبع سيدي الشيخ أنه كان متشدد مع نفسه، يعشق العزلة، واسع العلم والمعرفة، ليصبح بذلك شيخا لا يضاهى في علم الحديث، العلوم الدينية واللغوية، وياقوتته تشهد على ذلك. أما بالنسبة لمظهره الخارجي وملبسه، فقد كان سيدي الشيخ جميل المظهر، حسن اللباس[4]،

[1] المهاجر، المرجع السابق، ص ص 5 – 9.

[2] Octave Depon et Xavier Coppolani.**Les Confréries Religieuses Musulmanes**, Imprimeur-Libraire- éditeur, Alger, 1897, p 469.

[3] بوزيان، المرجع السابق، ص 275.

[4] السكوني، المصدر السابق، ص 57.

ومن أوصافه –أيضا– كان تائبًا، ورعًا، زاهدًا، موحدًا، صابرًا، صادقًا، عارفًا، دائم الذكر والفكر، ذا حياء، محبا للعلماء والشرفاء وأهل الدين، يتلقاهم بالإكرام والمحبة، خاشعا محسنا ظنه بالله، ذا رأفة وسخاوة وسخاوته تضرب بها الأمثال، مداوما على الأعمال الصالحة، ذا خلوة، ملازما للجوع مداوما على الصوم، قليل النوع، قنوعا بما قسم الله له[1].

كما كان سيدي الشيخ يتحمل الأذى ممن أذاه ويتلقاه بالغفران والإحسان، يقدم الفقراء والغرباء على الأغنياء في المحبة والإنبساط، شريف الأخلاق، كامل الأدب، كثير التواضع، وافر العقل، مداومًا على المجاهدة وظاهر الكرامات، وبذلك فتح الله عليه بمواهب قلبية وأسرار ربانيّة حتى اشتهر صيته في الآفاق[2].

7– مناقبه وكراماته:

كان الشيخ سيدي عبد القادر كثير الكرامات، والكرامة هي الأمر الخارق للعادة[3]، غير مقرون بدعوة النبوة[4]، يظهره الله على يدّ ولي ظاهر الصلاح[5]، وهي حق وواقعة، نطق بثبوتها القرآن الكريم[6]، والشيخ سيدي عبد القادر ممن أدام الله عليهم بذلك، بأن هيّأ له أسباب العلم، وسهل عليه سبل المجاهدات، مع التحلي بصفات اليقين، الإيمان والصبر ومن ذلك:

* أن الله تعالى قد أظهر للخلق خصوصية في حياته وبعد وفاته، فصار ضريحه من المزارات الشهيرة لا ينقطع قاصدوه في الليل والنهار وعلى مدار السنة[7].

---

[1] تومي، المرجع السابق، ص 16.

[2] السكوني، المصدر السابق، ص 58.

[3] أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي.**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، إشراف محمد حجي، ج12، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية– الرباط، 1401 هـ/ 1981 م، 376.

[4] آناماي شيمل.**الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف**، تر محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، ط.1، منشورات الجمل، بغداد، 2006م، 235.

[5] محمد العبده وطارق عبد الحليم.**الصوفية نشأتها وتطورها**، دار الأرقم، الكويت، د.ت، ص ص 66 – 67.

[6] عبد الله عبد القادر التليدي.**المطرب بمشاهير أولياء المغرب**، ط.4، دار الآمان، الرباط، 1424 هـ/ 2003 م، ص 28.

[7] طواهرية، المرجع السابق، ص 82.

* من مناقبه –كذلك– أن بعض خدامه مات له ولدا قتيلا، فلم يستطع الصبر عليه، فعزم على قتل قاتل ولده، فأتى إلى الشيخ سيدي عبد القادر ليشاوره في ذلك، فأمره بالصبر، وقد دعّى له الشيخ، فلم يمرّ عليه إلاّ يوم أو يومين فإذا بالحزن ذهب عنه، وأتّى نحو قاتل ولده فسامحه، ثم إن القاتل قد قتل بعد ذلك شرّ قتيلة[1].

* من كراماته –كذلك– أن سيدي الشيخ لما عزم على الرحيل عن الشلالة، أظهر أهلها عدم الصبر عنه فأعطاهم مغفرة وقال لهم إذا داهمكم الأمر فأخرجوه، فإن الله تعالى سيصرف عنكم ما تخشون وقال لهم: "سيسيل هنا دم، وستخرجون من قصركم وتبنون دورا أخرّى في هذه الجهة – وأشار إلى الجهة المعينة– فحصل كل ذلك في حرب التحرير[2].

8– زوجاته وأبنائه:

لقد خلف سيدي الشيخ ثمانيّة عشر ولداً[3]، مات منهم سبعة دون خلف، أما الباقي فهم من تتكون من ذرياتهم قبائل أولاد سيدي الشيخ وهم:

–الحاج بن الشيخ وأمّه من بني عامر.

– سيدي الحاج عبد الحاكم، الحاج إبراهيم و مُحَّد عبد الله وأمهم من توات.

– الحاج أو حفص، عبد الرحمان والمصطفى، وأمهم بنت سيدي أحمد المجدوب.

– الحاج أحمد وأمّه نصرانية ثم أسلمت.

– سيدي مُحَّد، سيدي التاج وسيدي بن عيسى لعرج، وأمهم بنت سيدي عبد الجبار الفجيجي[4]

[1] السكوني، المصدر السابق، ص 40.

[2] طواهرية، المرجع السابق، ص 86.

3 L.Rinn, op.cit, p 353.

[4] راس مال، المرجع السابق، ص 127.

أما الإناث فمنهن: السيدة صفية، آمنة[1] ورقية[2].

وقد توارث هؤلاء بركة والدهم الشيخ عبد القادر، واتسعت دائرتهم لتشمل جميع النواحي الشرقيّة شمالًا وجنوباً، وظلّ نفوذهم الدنيوي والروحي يتسع إلى غاية دخول الإستعمار الفرنسي[3].

بعد وفاة سيدي الشيخ تنازع أبناءه فيما بينهم حول الزعامّة الدينيّة والقيادة السياسية، فانقسموا بذلك إلى قسمين: قسم استقر في قصر الأبيض سيدي الشيخ حول قبر أبيهم بزعامّة الإبن الأكبر الحاج ابن حفص، وسموا بأولاد سيدي الشيخ الشراقة، وقسم آخر استقر في الناحية الغربية من القصر بزعامة سيدي الحاج عبد الكريم، وسموا بأولاد سيدي الشيخ الغرابة[4].

9- وفاته:

توفي سيدي الشيخ –رحمه الله- عن عمر يناهز الأربع وثمانين سنة[5] شهيدا، إثر جروح أصيب بها في معركة ضد الإسبان بناحية وهران، حيث عاد متحاملا بجروحه إلى منزله، وأمر أن لا يكشف أمرها لأحد إلا أن يتوفى[6]، وبعد وفاته أخبرت زوجته التي كانت تتولى تمريضه عن سبب وفاته، ثم إن الذين تولوا غسله أخبروا عن تلك الجروح التي وجدوها في جسده، وهي خمس جراح، بين طلقات ناريّة وضربات سيوف[7]. توفي -رحمه الله- بقريّة تسمى ستيتن على بعد 30 كلم من البيض[8]، يوم الجمعة الثاني من شهر جمادى الأولى عام 1023 أو 1024 هـ/ 1615 م[9]، ودفن يوم الأحد

---

[1] طواهرية، المرجع السابق، ص 69.

[2] بوزيان، المرجع السابق، ص 285.

[3] سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية 1860 – 1900**، ج1، ط.1، د.غ.إ، بيروت- لبنان، 2000 م، ص 179.

[4] باجي وميدون، المرجع السابق، ص 9.

6 L.Rinn, op.cit, p 353.

[6] طواهرية، المرجع السابق، ص 63.

[7] المهاجر، المرجع السابق، ص 38.

[8] تومي، المرجع السابق، ص 16.

[9] هناك اختلاف بين المؤرخين في تحديد سنة وفاة سيدي الشيخ حيث نجد: L.Rinn (لوي رين) يردها إلى سنة 1023 أو 1024 هـ- 1615م، العقبي يردّها إلى سنة 1023 هـ- 1615 م، أبو القاسم سعد الله يردها إلى 1023 هـ- 1614 م، في حين يتفق كل من: السكوني، طواهرية وبوزيان وخليفي على نفس تاريخ الوفاة أي سنة 1025 هـ- 1616 م.

الرابع من الشهر نفسه في مدينة الأبيض سيدي الشيخ[1]، وضريحه مشهور يزار[2].

10- وصاياه:

لما أحس سيدي الشيخ – رحمه الله- بدنو أجله، بعث في طلب أولاده الذين كانوا غائبين في أقطار البلد، فاجتمعوا عنده في أقصر مدة وأوصاهم بتقوى الله عزوجل، وملازمة السنة، وأن يتراعوا بينهم، وأعلمهم أنه سيغيب[3]، ومن جملة ما أوصاهم –كذلك- أن يدفنوه في الأبيض، وقد نعت لهم الموضع[4]، كما أوصاهم أن يصلي عليه نسيبه الفقيه سيدي مُحَمَّد عبد الله الجراري- رحمه الله-[5] وبوصيّة مكتوبة أوصّى بالخلافة لابنه سي الحاج بوحفص[6]، كمّا أوصاهم باتباع الطريقة الشاذلية، مع إضافة الذكر الخاص ثلاث مرات بعد صورة الفاتحة عند كل الصلوات الخمس[7]، وأوصاهم -كذلك- بالتناصح، إسعاف ذوي الحاجات والقيام بأمر الزاوية[8]، كما أوصى سيدي الشيخ بتحرير العبيد السود وتوظيفهم في زاويته[9].

11- آثاره العلمية:

ترك الشيخ سيدي عبد القادر ثلاث مؤلفات في السلوك وعلوم التصوف وهي:

* **قصيدة الياقوتة**: وهي قصيدة تائية صوفية[10]، تتكون من مائة وثمانية وسبعون بيتاً من البحر الطويل[11]، تحتوي إضافة للمقدمة والخاتمة على خمسة أقسام، تتضمن أغراض العقيدة والعهد الصوفي،

[1] السكوني، المصدر السابق، ص 102.
[2] بوزيان، المرجع السابق، ص 298.
[3] السكوني، المصدر السابق، ص 100.
[4] طواهرية، المرجع السابق، ص 85.
[5] تومي، المرجع السابق، ص 15.
[6] خليفي، المرجع السابق، ص 30.
9 L.Rinn, op. cit, p 353.
[8] المهاجر، المرجع السابق، ص 39.
[9] O.Depont et X.Copplani, op.cit, p 470.
[10] جعفري، المرجع السابق، ص 142.
[11] بوزيان، المرجع السابق، ص 296.

إضافة إلى مسائل تربوية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى السلوك والذكر، وأثره وفوائده، والتحذير من المخالفات[1]، كما يدعو فيها أتباعه إلى إتباع المنهج الصالح، وفي نفس الوقت يذكر فيها سند الطريقة الشيخيّة والدعاء والصلاة على النبي – ﷺ –[2].

* **الحضرة:** وهي تتمة للياقوتة، عدد أبياتها أربعة وعشرون بيتاً، وهي جملة أوراد الطريقة الشيخيّة، يغلب عليها أسلوب الذكر وفضائله ومدح الرسول – ﷺ –[3].

* **رسالة في التصوف:** كتبها ردّا على سؤال وجهه له الأمير زيدان السعدي بن أحمد الذهبي، في أصول الطريقة ، العهد والتلقين، كما تتضمن أغراض ذات علاقة بالسلوك، وهي أصل العهد وشروطه، واتخاذ المرشد الناصح، وكيفية التلقين والذكر، وفضله على مراتبه ومراتب الذاكرين والمعرفة، وتجريد القلب وتوحيد العارفين[4].

ب– الإمام عبد الجبار الفجيجي:

1– نسبه ومولده:

هو الإمام عبد الجبار من نسل أحمد بن موسى البرزوزي الفجيجي[5]، ولد سنة 812 هـ/1409م[6]، وقد اختلفت الروايات حول مكان ولادته، فاستنادا إلى رواية شفوية تقول أنه نزح إلى فجيج مع والده، فتربى ونشأ بها نشأة إسلامية، وتشير رواية أخرّى إلى أنه ولد في منطقة فجيج، حيث بقي يتنقل بين حلقات شيوخها[7] [8].

[1] حوتية، المرجع السابق، ص 202.
[2] طواهرية، المرجع السابق، ص ص 56 – 57.
[3] حوتية، المرجع السابق، ص 222.
[4] طواهرية، المرجع السابق، ص 57.
[5] مُحَمَّد بوزيان بنعلي.**فجيج نصوص من التراث الفكري**، تح العربي هلابي، ط.1، مطبعة الجسور، وجدة، 2005 م، ص 8.
[6] بوزيان، فجيج في عهد السعديين..، ص 265.
[7] بوزيان، أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي..، ص ص 15 – 16.
[8] هذا وتبقى أطوار حياة الشيخ الأولى يكسوها نوع من الإغفال والإهمال وضعتنا أمام صعوبات تاريخية انعكست حول معرفة أصل الشيخ.

2- شخصيته وأخلاقه:

كان الإمام عبد الجبار يتمتع بشخصيّة متميزة، طبقت شهرتها كل الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى، لتتجاوز بذلك كافة حدود المغرب، حيث تبوأ الزعامة في ميدان التصوف السني والعلمي، وطرق كل أبواب العلوم الدينيّة، حيث برع فيها وأجاد، وكان –رحمه الله- أصيل الرأيّ، وافر العقل، يضرب به المثل في صلابة عقيدته وقوة إيمانه، صاحب نفوذ قويّ في سائر المنطقة، كمّا كان عبد الجبار ذا حافظة قويّة، وذكاء متوقد، وبذلك كان الإمام حسنة فجيج وفضيلتها التي تدب على الأرض، إضافة إلى أن حياته كانت حافلة بالجهاد العلمي، التعليمي، التأليفي، القضائي، والإصلاحي، تسعفه سيرة محمودة عطرة تستمد جزئياتها من الكتاب والسنة[1].

3- تعليمه:

تعلم الإمام عبد الجبار بفجيج أولًا على يدّ والده الفقيه أحمد الفجيجي، فنشأ في أحضانه نشأة دينية إسلامية، حيث حفظ القرآن الكريم، وبعض المتون الضروريّة، وتلقى مبادئ العربية على يدّ نخبة من الفقهاء؛ كالشيخ العلم سليمان الونشريسي من الحمام الفوقاني، وكمّا هي عادة طلاب العلم، رحل عبد الجبار في كل الإتجاهات طالبا لعلمي المنقول والمعقول[2]، حيث تنقل إلى فاس، فأخذ عن كبار علمائها، ثم عاد ليجعل من فجيج بيئة علمية حقيقية[3].

بالإضافة إلى والده والشيخ سليمان الونشريسي، فقد تتلمذ الإمام عبد الجبار على عدد كبير من الشيوخ منهم: أبو عبد الله المواق، أبو عبد الله الصغير النيجي، عبد الرحمان القرموني، أحمد الحباك القيجمسي، وفي تلمسان أخذ عن الحافظ الحجة قاسم بن سعيد العقباني، والجاك الفرضي الفلكي، وابن عبد الجليل التنسي، وفي وهران أخذ عن الشيخ إبراهيم التازي الذي كان شيخه في الحديث[4].

[1] بوزيان، المرجع نفسه، ص 36.
[2] بوزيان، المرجع نفسه، ص 16.
[3] بوزيان، فجيج نصوص من التراث الفكري..، ص 8.
[4] بوزيان، فجيج في عهد السعديين..، ص 265.

4- أبنائه:

لقد خلف الشيخ عبد الجبار الفجيجي ثلاثة أبناء وهم: أحمد، إبراهيم و مُحَمَّد.

- **أحمد بن عبد الجبار**: أكبر أولاد الإمام عبد الجبار، ولد حوالي منتصف القرن التاسع، تنقل إلى فاس لطلب العلم كغيره من أفراد عائلته، حيث تتلمذ على يدّ شيوخها المشهورين خاصّة منهم الأستاذ أبا عبد الله الصغير النيجي، وقد أجازه في القراءات السبع إجازة مطلقة عامّة بشروطها، مثلما يتضح من إجازاته هو لتلميذه سليمان الونشريسي، والذي وصفه بقاضي الجماعة، والتي نستنتج منها أنه تولى القضاء، كما وصفه تلميذه الآخر أبو القاسم بن مُحَمَّد بن عبد الجبار بالأستاذ البليغ والفصيح اللافظ، وله العديد من المؤلفات أغلبها ضائعة منها منظومته في مورثات الفقر[1].
- **إبراهيم بن عبد الجبار (860 – 954 هـ/ 1455– 1547 م)**: أحد الأدباء المشهورين، علم، قاضي، مفت، رحالة وداعية، اتسعت آفاق رحلاته داخل المغرب وخارجه، وانتصب للقضاء[2]، شيوخه كثيرون أبرزهم أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن عيسى الأشموني المصري، وله عن الجميع إجازات، تخرج على يديه عدد كبير من التلاميذ من فجيج وتلمسان وغيرهما، ومنهم البلوي الوادي آشي الذي استجازه كتابه عن قواعد الإسلام فأجازه، مشيراً بعبارة مهمة إلى: " أن لإبراهيم أعلاما شعرية ونثرية كثيرة"، توفي – رحمه الله- ببلدة جني من السودان الغربي.
- **مُحَمَّد بن عبد الجبار(حوالي 870 – 956 هـ/ 1465 –1549 م)**: عالم محقق، ومتصوف عالم، شاعر محيط بالتراث الأدبي، رحل إلى عدَّة حواضر علمية، وتتلمذ على يدّ عدّة شيوخ أشهرهم: أبو العباس الونشريسي وأحمد بن يوسف الراشدي، تولى التدريس في زاوية أبيه الإمام عبد الجبار، وكذا في المسجد الذي ينسب إليه، كما تولى القضاء، وتخرج على يديه جماعة من أهل فجيج، فاس

[1] بوزيان، المرجع نفسه، ص 267.

[2] أبي القاسم مُحَمَّد الحفناوي.**تعريف الخلف برجال السلف**، ، ج2، مطبعة بيير قوفتانة الشرقية، الجزائر، 1324هـ- 1906م، ص ص 3 – 4.

وتلمسان، نذكر منهم: ولده أبا القاسم، الولي الصالح سيدي عمرو بن مُحَمَّد الفجيجي والعالم النحوي مُحَمَّد بن أحمد بن دواد الطافي التلمساني، توفي – رحمه الله- بمسقط رأسه[1].

5 – وفاته:

لم يقع بين أيدينا شيء نثبت به كيف كان الإمام عبد الجبار يعيش نهايات عمره الطويلة، أو كيف مات؟، إلاّ أن الظاهر من خلال بعض الإشارات أن عطاءه العلمي لم ينقطع، وأن آخر رحلاته خارج فجيج كانت إلى تلمسان، وأن أكثر كتبه ذيوعاً ألفها في أواخر أيام حياته، وكل ما نعلمه عن وفاته أنه توفي –رحمه الله- عام 918 هـ/ 1512 م، عن عمر يناهز المائة سنة، ودفن خلف مسجده الجامع حيث كان يتصدر للإقراء، وقبره هناك تحت قبة جنائزية شامخة تشكل ملامح ضريحه، الذي لايزال الناس يزورونه تبركاً ورحمة[2].

6– آثاره العلمية:

ممّا لاشك فيه أن للإمام عبد الجبار مصنفات عديدة، نتيجة ما بذله من جهد وقوّة في طلب العلم والمعرفة، الذي لم ينقطع عنه طوال حياته، ومن المؤسف حقا ألّا يصلنا من مؤلفاته إلاّ النزر اليسير ومنها:

- **تفسير القرآن:** اختصر فيه الإمام عبد الجبار جامع أحكام القرآن للقرطبي، المبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، وقد احتوى على اثني عشر جزءا[3].
- **مختصر حياة الحيوان:** وقد كان الكتاب المختصر للدميري، وممّا جاء في آخره: "انتهى ما قصدت من اختصار حياة الحيوان بلفظه غالبا، بمعناه تارة وبتقديم في بعض تارة أخرّى، وكان الفراغ منه عشية الأربعاء في شهر شوال عام 894 هـ.

[1] بوزيان، المرجع السابق، ص ص 268 – 269.
[2] بوزيان، أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي..، ص 35.
[3] بوزيان، المرجع نفسه، ص ص 41 – 42.

- **الفهرسة:** ضائعة ولم يبقى منها إلاّ نُقول، وقد ذكر فيها الشيخ عبد الجبار أشياخه وإجازاتهم له في سائر العلوم[1].

لقد كان لشيوخ الزوايا بقصور فجيج دور جدّ فعال في إصلاح الأوضاع الإجتماعية السائدة في المنطقة، وذلك من خلال نشر الدين الإسلامي الحنيف والحثّ علية، كمّا عملوا على إصلاح ذات البين بين الأفراد والمجتمعات، فقد لعبوا دور القاضي في تسويّة الخلافات وحلّ النزاعات بين ساكنة قصور فجيج، نظرًا لما عرف عنهم من مزايا وخصال حميدة وتفقه في الدين وحفظ للقرآن الكريم، كمّا عملوا على تلقين العلم والمعرفة للطلاب والمردين، حيث ألفوا الكتب ونوعوا فيها(الفقه، النحو، التصوف، الأدب...الخ. ولم يقتصر دور هؤلاء على الجانب الإجتماعي والتعليمي فحسب بل تعدّى ذلك إلى الدور الجهادي والعسكري.

[1] بوزيان، واحة فكيك تاريخ وأعلام..، ص ص 178 – 179.

لقد كثرت المؤسسات الدينيّة بقصور فجيج، أهمها الزوايا والتي طالها الاهتمام حتى غطت على غيرها من المؤسسات.وقد تنوعت الزوايا وتعددت بتعدد شيوخها وعلمائها، فمنها الزوايا العلمية، والتي اهتمت بنشر العلم والمعرفة، والعلوم الإسلامية؛ من تفسير، حديث وفقه، ولعل خير مثال على هذا النوع من الزوايا: زاوية سيدي عبد الجبار، كما نجد نوع آخر من الزوايا، وهي الزوايا الصوفية، والتي اهتمت بتربية المريدين المنقطعين للعبادة والذكر كزاوية سيدي الشيخ عبد القادر بن مُحَمَّد.

ثانيا: أهم زوايا فجيج خلال القرن 10 هـ- 16 م

I. الزوايا الصوفية "زاوية سيدي الشيخ انموذجا":

1- تأسيس زاوية سيدي الشيخ:

بعد أن أتم سيدي الشيخ تعليمه، غادر قصر السهلي، وهو يحمل بشارة شيخ الطريقة، متجها إلى الجنوب الشرقي المغربي، حيث استقر بمنطقة فجيج، والتي كانت أنذاك مركزاً للإشعاع العلمي والصوفي، فأخذ استقراره بها لأنه كان قد اتخذ لنفسه خلوته في أحد بساتين الشرفاء، سماها "العباد" تيمنا بعباد الشيخ القطب سيدي أبي مدين الغوث[1] دفين تلمسان[2].

في هذه المنطقة المطلّة على قصر زناكة، أسس الشيخ سيدي عبد القادر بن مُحَمَّد أول زاوية له، سماها باسم خلوته -أي العباد- وكان ذلك بعد وفاة شيخه مُحَمَّد بن عبد الرحمان السهلي – السالف الذكر- ولما تكاثرت عليه وفود المريدين اضطر سيدي الشيخ إلى تأسيس زاوية ثانية في المكان

[1] هو أبي مدين شعيب الغوث بن الحسين الأندلسي (520 هـ/ 1126 م)، يعتبر مثلا للتصوف المغربي، وهو من آل البيت النبوي، أخذ عن ابن حرزهم والدقاق، وعن الشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد، اشتهر بسرعة ممّا أزعج أبا يوسف يعقوب المنصور، الذي نفاه إلى مراكش، ومع أن أبو مدين لم يعش بتلمسان إلاّ أنه دفن بها، ومن ثمّ فإن سكانها تبنوه كولي حام للمدينة، توفي عام 589 هـ/ 1590 م.عبد الرؤوف المناوي.**الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوى الكبرى**، تح عبد الحميد صالح حمدان، مج1، الأمل للطباعة والنشر، مصر، د.ت، ص 665.بن عبد الله، المرجع السابق، ج2، ص 40.راس مال، المرجع السابق، ص 136.

[2] المهاجر، المرجع السابق، ص ص 13 – 14.

المشهور بأجدل شرق الحمام الفوقاني، سماها "السهلي" تبركاً بشيخه المذكور، وذلك في أواخر القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (10 هـ/ 16 م)[1].

ظل سيدي الشيخ عبد القادر بن مُحَمَّد يرأس زاويته العباد وبفرعها في أجدل، والتي أصبح لها إشعاع علمي وصوفي كبيرين، لتصبح بذلك زاوية سيدي الشيخ أكبر زاوية في المنطقة، وأحد أغنى مراكز التصوف في المغرب، الأمر الذي أهلها لاستقطاب أعداد هائلة من الزوار، حيث التف حولها أتباع كثيرون، ثم ما لبثت أن تعززت بكوكبة من العلماء والفقهاء والمتأدبين، وردوا سواء للتدريس بالزاوية، أو لطلب العلم على يدّ زعيمها الروحي والمتصوف سيدي عبد القادر بن مُحَمَّد[2].

مع نهاية القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (10 هـ/ 16 م) طلع أحمد بن أبي محلي[3] بكتابات تحمل في طياتها إفادات جمّة على أحوال الزاوية السماحيّة، ويبدوا من خلال هذه الكتابات أنه انضم إليها ثم تركها لما رأى في زعيمها من انحراف عن نهج جدّه وأبيه.والملاحظ أن هذه الدعايات لم تستطع أن تقطع الطريق أمام مدّ هذه الزاوية، التي ضاقت بالمريدين[4]، وبالتالي افتتاح فروع أخرّى لها في الجنوب، الشمال، في الداخل وعلى السواحل، في المدن والقرّى على حدّ سواء، ومن هذه الزوايا ما هو قائم إلى يومنا هذا[5].

مع نهاية الدولة السعدية قرر سيدي الشيخ عبد القادر بن مُحَمَّد الإبتعاد عن فجيج إلى الحدود الشرقية، حيث استقر بالبيض "بالجزائر" وأسس زاويته هناك، واستمر – رحمه الله- في القيام بأمور

---

[1] خليفي، المرجع السابق، ص 26.

[2] بوزيان، فجيج في عهد السعدين..، ص 14.

[3] هو أحمد بن عبد الله بن مُحَمَّد ابن عبد الله السجلماسي، المعروف بابن المحلي، ولد بتافيلالت سنة 967 هـ/ 1559 م، سائر متصوف من العلماء، تلقى تعليمه الأولي على يدَ والده، ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن علمائها، ادعى أنه المهدي الفاطمي المنتظر، حكم المغرب مدة ثلاث سنوات، وقد ترك ابن المحلي العديد من المؤلفات أهمها: الإصليت والمهراس، توفي سنة 1023 هـ/ 1613 م.العباس ابن إبراهيم السملالي.**الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، تح عبد الوهاب بن المنصور، ج2، ط.2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ- 1939 م، ص ص 286، 294.الحسن اليوسي.**المحاضرات في الأدب واللغة**، تح وشرح مُحَمَّد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ج1، ط.2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، د.غ.إ، بيروت- لبنان، 1402 هـ- 1982 م، ص ص 261 – 264.

[4] بوزيان، واحة فكيك تاريخ وأعلام..، ص 157.

[5] المهاجر، المرجع السابق، ص 15.

هذه الزاوية، والتي كان لها هي الأخرى على غرار باقي زواياه بفجيج صيت عظيم في تلقين العلوم، ونشر الطريقة الشيخية في أوساط القبائل من مختلف الجهات[1].

لقد كان للطرق الصوفيّة في خدمة الإسلام والدعوة إليه في مختلف جهات العالم اليد الطولى، فقد عملت على نشر فضائل الإسلام، وبث تعاليمه الساميّة، ونقله إلى مناطق نائيّة، وعرضه عرضا خالياً من أي تعقيد أو تغليف، ممّا جعل الكثير من الأمم والشعوب يدخلون بفضلهم – أي الطرق الصوفية– في الدين الإسلامي أفواجاً، ومن بين هذه الطرق نجد الطريقة الشيخية والطريقة الشاذليّة.

2– الطريقة الشيخية:

الشيخية فرع من فروع الشاذلية[2]، وتنسب إلى الولي الصالح الشيخ سيدي عبد القادر بن مُحَمَّد[3] –السالف الذكر– وسميت نسبة لاسم مؤسسها بـ "الشيخية" أو "البوشيخية"[4]، وهي من أهم الطرق الدينية التي ظهرت في سنة 1615 م/ 1023 أو 1024هـ[5]، تحث على طاعة الله عزوجل، والالتزام بالسنة المطهرة، وهي طريق قويم، وصراط مستقيم، تهدي إلى السبيل والهدى، جامعة بين الشريعة والحقيقة، مبناها على طلب العلم، احترام العلماء، وكثرة ذكر الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام[6].

يعتنق الشيخيّة عدد كبير من المريدين بالمغرب الإسلامي، أين تنتشر زوايا سيدي الشيخ، والقبائل التابعة لهم؛ كالشرفاء، البوبكرية، أولاد عمور، أولاد جرير والبربر...وسواهم[7].

[1] المهاجر، المرجع نفسه، ص ص 27 – 28.
[2] بطاش، المرجع السابق، ص 22.
[3] حوتية، المرجع السابق، ص 201.
[4] راس مال، المرجع السابق، ص 95.
5 L.Rinn, op.cit, p 349.
[6] الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار..، ص 275.
[7] راس مال، المرجع السابق، ص ص 95 –96.

3- سند الطريقة الشيخية:

أخذ سيدي الشيخ عبد القادر طريقته عن الإمام الجليل، وشيخه الأول مُحَّد بن عبد الرحمان السهلي – السالف الذكر- الشاذلي الطريقة، وبذلك فسند الطريقة الشيخية متصل بأبي الحسن الشاذلي[1] مؤسس الطريقة الشاذلية[2]، والتي تعتبر من أقدم الطرق الصوفية استقرارا بالمغرب، حيث كان مركزها بمراكش، وهي من الطرق الأولى التي أدخلت التصوف إلى المنطقة[3].

عرفت الطريقة الشاذلية انتشارا واسعا في كافة أقطار المغرب الإسلامي، نظرا لمرونة تعاليمها، واعتدال شيوخها[4]، وقد استطاعت أن تؤثر تأثيرا كبيرا في المجتمعات، وقد تفرعت عن الشاذلية عدّة طرق أبرزها الشيخيّة -كما سبق وأن أشرنا- كمّا استطاعت أن تجذب إليها الكثير من كبار العلماء والشيوخ[5].

للطريقة الشاذليّة كغيرها من الطرق الصوفية دورها في الجهاد في سبيل الله والدفاع على الإسلام والمسلمين، خاصّة وأن تعاليم الشاذلي لمريديه وأتباعه مليئة بالحثّ على الجهاد، الذي أصبح صفة لازمة لشيوخ الطرق الصوفية عامّة[6].

4- أوراد الطريقة الشيخية:

تتشابه مختلف الطرق الصوفية في كثير من الأذكار والطقوس، إلاّ أنها تختلف عن بعضها في

---

[1] هو الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الجبار الشاذلي، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد بالمغرب الأقصى، في بلدة غمارة سنة 593 هـ/ 1196م، حفظ القرآن الكريم، وبرع في العلوم الدينية واللغوية، استقر ببلدة شاذلة بتونس التي نسب إليها، من أبرز شيوخه: الشيخ عبد السلام بن مشيش، توفي سنة 656 هـ/ 1258م، ومن آثاره: الحزب المشهور والحزب الشاذلي.مأمون غريب.**أبو الحسن الشاذلي حياته..تصوفه..تلاميذه وأولاده**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1414 هـ- 1994 م، ص ص 60 – 61.مُحَّد عبد المنعم حفاجي.**الأدب في التراث الصوفي**، مكتبة غريب، القاهرة، د.ت، ص 152.

2 L.Rinn, op.cit, p p 394 - 350.

[3] العقبي، المرجع السابق، ص ص 149 – 150.

[4] العجم، المرجع السابق، ص 577.

[5] بوعنتو، المرجع السابق، ج1، ص 393.

[6] العقبي، المرجع السابق، ص ص 151 – 152.

بعض الممارسات، حيث تمارس الطريقة الشيخية أذكارها وأورادها في خصوصيات محددة ، وسنتعرف فيمايلي على بعض خصوصيات الشيخية.

تعتبر السبحة شعار المريد في أية طريقة كانت، وهي تتميز لدّى الشيخية بوجود حبة مرجان بعد الحبة الخمسين (تتكون السبحة من 100 حبة)، والسبحة في نظر الشيخ هي رفيقة المريد تذكره بالله تعالى، كما تعينه على الذكر والتسبيح[1].

أما عن آداب الذكر، فعلى المريد أن يكون على وضوء، أن يستقبل القبلة، وأن لا يشغل باله بأمر من أمور الدنيا، أن يعلق قلبه بالله تعالى، وأن يكون نظيف الفم، طيب الرائحة، وأن يجلس على شقه الأيمن، ولا يكون مربعا، كما على المريد أن لا يشرب الماء وهو يذكر أوراده، وإذا ناداه أحد فليقل سبحان الله[2].

أما العقوبات والمسماة عند الشيخية "الإنصاف" والمفروضة على المخطئين المخالفين لنظام الطريقة، فهي متعددة، ينحصر جلها في إقامة وجبة طعام أو غرامات مالية منها: من حلف بالحرام فنصابه ثمانون دورو.ولم يستثني سيدي الشيخ النساء من العقوبات، بل فرض عليهن ما فرض على الرجال، لأن حرمة المرأة كحرمة الرجل، أما عن من يتولى أمر الإنصاف، ومن يأخذه فقد ورد أن النصاف للزاوية بحضور المقدم وبأمر من الشيخ، ويكون بعد التوبة والإستغفار[3].

وفيما يخص أوراد الطريقة، فيجب على المريد قبل شروعه في الذكر أن ينطق بالشهادة "لا إله إلاّ الله"، ويقرأ الورد العام للشيخية بعد صلاة الصبح والمغرب، حيث يجتمع مريدو الطريقة في حلقة دائرية، يفتح المقدم الورد الجماعي بحزب الفلاح، يتلوه بعد ذلك "لا إله إلّا الله" مئة مرة، ثم يبدأ القصيدة المسماة الحضرة أو الجلالة يقرأها المقدم مع من تيسر له حفظها، ويرّد الجماعة الإسم المفرد

[1] خليفي، المرجع السابق، ص 34.
[2] راس مال، المرجع السابق، ص 125.
[3] خليفي، المرجع السابق، ص ص 36 – 37.

"الله" اثنى عشر مرة بعد كل بيتين في نهاية الحضرة[1]. كما أضاف سيدي الشيخ الذكر الخاص لأتباعه الثلاث مرات بعد قراءة الفاتحة عند كل الصلوات الخمس[2]، وفي خاتمة ورد الطريقة يختم بالدعاء[3].

إن الطريقة الشيخية –بذلك– لها أذكار شاذلية، التي يتلقاها الأتباع ويرددونها في أوقات معينة بعد دخولهم للطريقة، وهم يضيفون إلى ذلك قراءة الفاتحة ثلاث مرات بعد كل صلاة من الصلوات الخمس، وهذه الأوراد يعلمها شيوخ الزوايا الشيخية، والذين يتوارثون الطريقة لأولادهم حتى يتمكنوا من إدارة الزوايا من بعدهم، وإعطاء الأوراد والأذكار سواء كانوا من زوى الشراقة أو الغرابة[4].

5– المنهج التربوي للطريقة الشيخية:

لقد أسس سيدي الشيخ عبد القدر بن مُحَمَّد لطريقته منهاجًا وطريقًا معينًا من مقامات ومراتب يسلكها المريد ليصل إلى أعلى المراتب في العبادة، والتقرب إلى الله، والتي تعتبر أساس قيام الطريقة الشيخية، ومن بين الأساليب التربوية عند الشيخية نجد:

- **التربية بالمخالطة:** هناك أثر تحدثه مخالطة الرفاق، وتأثير هؤلاء على سلوك المريد وشخصيته، لذلك حرص سيدي الشيخ كل الحرص على تربية مريديه على حسن اختيار الرفقاء[5].
- **أخذ العهد:** أو ما يسمى بالبيعة عند الشيخية، فعلى المريد أن يأخذ بيدّ شيخه ليصّل إلى مراده، وحتى يأخذ عنه سرّ ونهج الطريقة، فيبايعه بذلك للمشيخة على أن يكون أهلاً بذلك[6].
- **طلب العلم:** يعتبر أهم نقطة في المنهج التطبيقي عند الشيخية، فهو بمثابة التطبيق العلمي للإسلام، لذلك حرص سيدي الشيخ على تلقين العلوم لمريديه وأتباعه.

---

[1] تومي، المرجع السابق، ص 25.

[2] O.Depont et X.Coppolani, op.cit, p 470.

[3] تومي، المرجع السابق، ص 25.

[4] أبو القاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي 1830 – 1950**، ج4، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 م، ص 108.

[5] تومي، المرجع السابق، ص 62.

[6] راس مال، المرجع السابق، ص 123.

❖ **الخلوة:** لم يقصد بها سيدي الشيخ العزلة الدائمة للمريد، بل فترة ليست بالطويلة يخرج فيها المريد عن الحياة العلمية، لتقويّة صلته بربّه، وكذا لما فيها من منافع على نفسية المريد من إصلاح للقلب والجسم، والإبتعاد عن الحياة الدنيا وملذاتها.

❖ **التربية بالموعظة الحسنة:** اعتمد الشيخ عبد القادر بن مُحَّد في طريقته التربوية على النصح والإرشاد وذلك لبناء سلوك مستقيم لدّى مريديه، وكذا لغرس القيم الخلقية في نفوسهم[1].

❖ **التربية الجهادية:** إذ كان أول ما يبدأ به سيدي الشيخ في منهجه التربوي تربية المريدين تربيّة جهاديّة، إذ كان دائما يدعوا إلى الجهاد ويحث عليه في سبيل الله[2].

بهذه الأركان التربويّة يكون سيدي الشيخ عبد القادر بن مُحَّد قد وضع لطريقته الشيخية مناهج وطرق تطبيقية، والتي كان يراها أساس تربية المريدين، والتي يعود لها الفضل في نجاح الطريقة.

نستنتج من خلال ما سبق ذكره أن الطرق الصوفية هي عبارة عن طرق مستقيمة تهدي إلى السبيل والهدّى، لجمعهما بين الشريعة والحقيقة، مبنية على طلب العلم وذكر الله عزوجّل ورسوله -ﷺ- لكن من الخطأ الفاحش والخطر الداهم وجود مثل هذه الطرق غير المتفقة مع الشريعة الإسلامية على حالتها التي وصلت إليها اليوم، والتي احتلت قلوب العامّة إذ رأوا فيها باباً من ذكر الله ومديح الأولياء، فتأخذ بناصية المتعلقين بها إلى الهاوية.

II. الزوايا العلمية "زاوية عبد الجبار انموذجا"

1- تأسيس زاوية عبد الجبار:

أرسى معالمها الشيخ أحمد بن موسى الفجيجي، وطورها ابنه الإمام عبد الجبار منتصف القرن الهجري التاسع، الخامس عشر الميلادي (9 هـ/ 15 م)، اطلق عليها اسم "دار العدّة" لما يحمله هذا الإطلاق من بُعد ودلالة؛ فلفظ العدّة يدل على ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح، وكأن الشيخ سيدي عبد الجبار يقصد بها ما أعده لمواجهة خطر الجهل، ومكافحة رواسب الانحراف

[1] طواهرية، المرجع السابق، ص 54.

[2] تومي، المرجع السابق، ص ص 64، 67.

الخلقي، كما عرفت –كذلك– بالزاوية العلمية تشريفا لها وتنويها بمهمتها الوظيفية القائمة أساسا على نشر العلم[1].

لقد احتوت زاوية سيدي عبد الجبار على مرافق عدّة منها: خزانة زاخرة، مسجد وغرف لإيواء الطلبة، والتي اكتظت بالمريدين وطلبة العلم، خاصّة وأن شيخ الزاوية حرص كل الحرص على التدريس وتلقين العلوم، مستندًا في ذلك على كتاب الله عزوجّل وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام[2]، وبذلك اشتهر صيت الزاوية في كافة أقطار المغرب الإسلامي، ما أدّى إلى استقطاب كوكبة من العلماء والفقهاء سواء للتدريس بها بالزاوية أو لطلب العلم على يدّ شيخها، ومن بين تلاميذ سيدي عبد الجبار نذكر: أحمد بن مُحَمَّد بن مرزوق الكفيف، أبو الحسن العقباني، إضافة إلى أولاده الثلاثة – السالفين الذكر– وغيرهم[3].

بذلك كانت الزاوية العلمية أكثر شهرة وامتدادا داخل وخارج المغرب ممّا عداها، بحيث بلغت علاقاتها بمختلف المراكز العلمية شأواً رفيعاً، وهذا ما تتفق عليه جلّ الوثائق المحليّة.

2– خزانة زاوية عبد الجبار:

عبارة عن مكتبة أسسها الإمام عبد الجبار[4] منذ القرن الهجري التاسع، الخامس عشر الميلادي (9 هـ– 15م) سماها "دار العدّة" نسبة إلى إسم زاويته، وقد حرص بنوه وأحفاده على إثراءها وإمدادها بالكتب القيمّة والمخطوطات، وقد كانت هذه الخزانة على غرار المكتبات العامّة في المراكز العلميّة بفجيج تفتح أبوابها بين صلاتي الظهر والعصر، ليتمكن الطلبة من قراءة الكتب التي يرغبون فيها، ولم يكن يسمح بإعارة الكتب إلاّ للعلماء، إذ ما كان لكثير من فقهاء فجيج أن يتبوؤوا المراكز العلمية الشامخة، لولّا ما وجدُوه من مدد في هذه الخزانة[5].

[1] بوزيان، واحة فكيك تاريخ وأعلام..، ص 154.
[2] طواهرية، المرجع السابق، ص 44.
[3] بوزيان، أعلام الفكر والأدب بين العصرين المريني والعلوي..، ص 28.
[4] الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار..، ص 692.
[5] بوزيان، فجيج في عهد السعديين..، ص 232.

أما بخصوص عدد الكتب التي احتوتها الخزانة، فيروى أن الإمام عبد الجبار دشن خزانته بحمولة أربعين بعيراً كتباً، ثم زودها بحمولات أخرّى من فاس، تلمسان والمشرق عبر فترات متفاوتة، فتجمع له بذلك إرث عظيم بلغ حوالي خمسة ألاف مخطوط، وقد استمرت عمليّة إثراءها بالكتب إلى غايّة القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي (13هـ- 19م)، ومن بين المؤلفات التي احتوتها الخزانة نجد: كتاب أبي العباس أحمد بن عبد السلام بن مُحَمَّد بن أحمد بناني (ت 1234هـ- 1819م) ويسمى "تحلية الآذان والمسامع بنصرة الشيخ ابن زكري العلامة الجامع"، والذي ألفه بعد عام 1213هـ- 1799م[1].

3- إسهامات العلماء بزاوية عبد الجبار:

مع بداية القرن الهجري العاشر، السادس عشر الميلادي (10هـ- 16م)عرفت زاوية عبد الجبار أوج صيتها، ويعود الفضل في ذلك إلى مكتبتها العتيقة، والتي تزخر بالكتب القيمّة، والتي تعتبر خزانا فكرياً وحافظة لذاكرة الأجيال، وشاهداً على جهود الشيخ سيدي عبد الجبار.

من مظاهر شهرة زاوية عبد الجبار والمكتبة الملحقة بها، أن جعل العلماء والرحالون النازلون بفجيج زيارتها تقليداً محموداً بينهم وضرورة علميّة، وهكذا تحدث عنها زائروها حديثاً يفيض بالإعجاب والتقدير، وقد حلّ بها عدد لا يحصّى من الطلبة والعلماء من أمثال ابن أبي محلي السجلماسي[2]، ومفتي الجزائر وخطيبها – في وقته- الشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة[3] (ت 1066هـ- 1656م)، والذي أتيحت له فرصة زيارة فجيج فلم ينفصل عنها إلاّ وقد سعد بالدخول إلى الخزانة والاستفادة منها[4].

---

[1] بوزيان، واحة فكيك تاريخ وأعلام..، ص 158.

[2] بوزيان، فجيج في عهد السعديين..، ص ص 232 - 233 .

[3] مفتي مدينة الجزائر وفقيهها، وعالمها وصالحها، تونسي الأصل، جزائري المولد والنشأة، أخذ عن سعيد المقري وغيره، وأخذ عنه مُحَمَّد بن إسماعيل مفتي الجزائر ويحي الشاوي وغيرهما، توفي - رحمه الله- سنة 1066هـ- 1656م، ومن آثاره: شرح الصغرى للسنوسي.عادل نويهض.**معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط.2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، 1400 هـ- 1980 م، ص 259.

[4] أبو العباس أحمد بن عبد الله ابن القاضي ابن المحلي السجلماسي. **مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس النفوس السفلة المنخدعة**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، مسجل تحت عدد ك 192، الورقة 62.

لقد تعاقب على زيارة زاوية عبد الجبار الفجيجي جمّ غفير من الرحالين والمهتمين، احتفظت كتابات بعضهم بانطباعات متباينة، ومن بين هذه الكتابات نجدّ:

- مكمل إكمال الإكمال للشيخ أبي عبد الله السنوسي، وهو كتاب جليل في سفرين.
- كتاب المسالك على موطأ مالك، للإمام أبي بكر مُحَّد بن العربي، في ثلاثة أسفار ضخام.
- حليّة الأديب في اختصار الغريب لأبي بكر بن المزجي في مجلد واحد، وقسمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في خلق الإنسان وصفاته، مع ذكر سائر الحيوان؛ الخيل، الإبل، الأنعام وسائر الوحوش والسباع.

القسم الثاني: في الأشجار والنباتات وما يتصل بذلك، مع ذكر الأرض، الجبال والمياه، وما إلى ذلك من ذكر للأمطار، الغيوم، الرياح، النجوم وسائر الأزمنة.

القسم الثالث: في أبواب من التصريف وأوزان من الكلم وشواذ المصادر والقلب والإبدال.

ومنها شرح العارف بالله سيدي أحمد زروق المسمّى بـ "مفتاح الإفادة لذوي العقول والهمم على معاني ألفاظ الحكم"، وابن واصل على الجمل للخونجي في "المنطق"، والبغدادي على "حرز الأماني"، و"المصباح" لبدر الدين ابن مالك وغير ذلك من الكتب المتداولة[1].

مع نهاية القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي (11هـ- 17م) أخذت الخزانة تتخبط في مشاكل أفقدتها الكثير من بريقها، ومع حلول القرن الموالي تناقل الرحالون أخبار تصدعها وتفككها، وتعود أسباب ذلك إلى التهاون في تدبير شؤونها من طرف العلماء الذين وقع عليهم واجب العناية بهذه الخزانة بعد وفاة الإمام عبد الجبار وأبناءه الذين وهبوا حياتهم لخدمتها[2].

[1] بوزيان، واحة فكيك تاريخ وأعلام..، ص ص 159 – 161.
[2] بوزيان، المرجع نفسه، ص ص 161 – 162.

4- العلوم المدَرسَة بزاوية عبد الجبار:

من بين أهم العلوم التي كانت تدرس بزاوية أل سيدي عبد الجبار نجد:

- **علوم القرآن:** لا شك في أن كلام الله عزوجل يأتي في صدر المواد التي كانت تدرس بزاوية عبد الجبار، إذ بالقرآن الكريم يفتتح الطالب مساره العلمي.
- **الفقه والعقيدة:** لما يرتبط بهما من المواد التي لا يأتي البحث فيهما بمعزل عن القرآن الكريم والحديث، فإن بني عبد الجبار أولى لهما عناية خاصة، واختاروا لهما أهم الكتب التي كانت تدرس في المراكز العلمية الكبيرة بفجيج، وفي مقدمتها رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مختصر خليل والعقيدة الصغرى للسنوسي[1].
- **التصوف:** لقد أولى الإمام عبد الجبار عناية خاصة لعلم التصوف، وقد خصص له أهم الكتب المتداولة بالمنطقة ومنها: "تحفة الأخيار في فضل الصلاة والسلام على النبي المختار" لأبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي الفضل، و"تأليف في التصوف" للشيخ العارف والقدوة المحقق عماد الدين بن أحمد الواسطي.
- **الأدب:** إذ لم تقتصر المعارف الدراسية بالزاوية العلمية على العلوم الإسلامية والصوفية، بل تعدت ذلك إلى العلوم اللغوية والأدبية، وقد خصص بني عبد الجبار عدة كتب لهذا الغرض ونذكر منها: تأليف في شرح معاني القصيدة العرفانية، التي أنشأها نجم الدين بن مُحَمَّد إسرائيل الدمشقي، شرح مقصورة ابن دريد وشرح همزية البويصري وسولهم[2].

[1] بوزيان، فجيج في عهد السعديين..، ص ص 223، 227.

[2] بوزيان، واحة فكيك تاريخ وثائق وأعلام..، ص ص 168، 170.

كان للزوايا بقصور فجيج على عهد السعدين نشاط جدّ مكثف، نظرا لما عرف عن مؤسسيها من علم غزير وتفقه في الدين، ونظرا للأعداد الهائلة من الطلبة والزوار الوافدين على تلك الزوايا من مختلف جهات أقطاع العالم الإسلامي، وسنحاول من خلال ما سيأتي أن نتعرف على أدوار ومهام زوايا فجيج.

ثالثا: أدوار الزوايا بقصور فجيج

أ– الدور الإجتماعي:

لقد كان من أولى اهتمامات الزوايا بقصور فجيج العناية بطبقة الفقراء، المعوزين، الأرامل[1]، أبناء السبيل والمظلومين بعناية خاصَّة[2]، فقد ساعدت الفقراء وأطعمت الجائعين، إذ كان الإطعام عند شيوخ الزوايا بفجيج والإكرام يعتبران عملاً من أجل التقرب إلى الله عزوجّل، وهذا ما تقوم به كل من زاوية سيدي الشيخ وزاوية الإمام عبد الجبار... الخ[3]، إذ جعل الشيخ عبد القادر بن مُحَمَّد الإهتمام بحال هؤلاء الهدف الأساسي الأول من تأسيس زاويته، فقد وفر في زاويته من المئونة والزاد والمأوى ما خفف به من حدّة بؤس وحرمان ومعاناة أفراد وأسر هذه المنطقة، إضافة إلى روح التضامن والتكافل الإجتماعي التي عمل سيدي الشيخ على إشاعتها بين أهل قصور هذه المنطقة، وذلك من خلال فرض غرامات ماليّة على المخالفين لنظام الزاوية، وتوزيع تلك الأموال على الفقراء والمحتاجين[4]، كما عمل سيدي الشيخ على صيانة أموال اليتامى[5]، وبذلك استطاع الشيخ عبد القادر بن مُحَمَّد بتأثيره الروحي أن يحمي القيم والمقدسات الدينيّة الإسلاميّة، وأن يحقق الحق ويبسط العدل في وسط كانت تسوده الفوضى والغلبة للقوي، إذ أصبح شيوخ الزوايا الحكم في كل النزاعات مهما كانت أسبابها، كانت ترجع إليه ساكنة فجيج في حلّ نزاعاتهم الداخلية، وفي إطفاء نار الفتن التي كانت تنشب

[1] طواهرية، المرجع السابق، ص 28.
[2] راس مال، المرجع السابق، ص 88.
[3] خليفي، المرجع السابق، ص ص 52 – 53.
[4] المهاجر، المرجع السابق، ص ص 21 – 22.
[5] السكوني، المصدر السابق، ص 51.

باستمرار في المنطقة، خاصّة تلك الصراعات التي غالبا ما كانت تحدث بين أهل فجيج حول مسألة منابع الماء[1].

ب– الدور التعليمي:

لقد عرفت فجيج خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (10هـ- 16م) حركة علمية وأدبية زاهرة، ساهم في تنشيطها مجموعة من الفعاليات، وكان هذا النشاط المتلألئ سببا في استقطاب العديد من رجالات الفكر والأدب، تجمعوا إليها من مختلف الأطراف والأصقاع، حيث طاب لبعضهم المقام بها، فاندمجوا وانصهروا وارتبطوا جغرافياً وفكرياً، وقد فاضت قرائح الجميع شعراً ونثراً بما دلّ على مكانة فجيج الفكرية[2].

لقد اهتم شيوخ الزوايا بفجيج بالتربية، من تلقين الذكر، إلباس الخرقة، ترقيّة المريدين وتعليم العلوم الدينيّة والأخبار الصوفيّة، فقد علمت الزوايا الجاهل وحافظت على القرآن الكريم، والديانة العربية الإسلامية[3]، إذ كان الشيخ سيدي عبد القدر اليدّ الطولى في طريقة التربية والتلقين، وقصيدته الياقوتة تشهد على ذلك، والتي تضمنت ما يعين المريد ويرد الشارد، كما أسس فيها من علم الرشاد ما يضيء به الطريق لأهل السداد، وفي هذا يقول عنه مريده الشيخ أبو العباس أحمد بن بودي في تائيته التي رثاه بها والمسماة بـ "روضة الأحزان":

فَحَازَ مَقَاماً هُوَ أَعْلَى المقَامَات بقُطْب وغُوث قُل أَمير الولاَيَة

وَلي وَقُطْب عَالـــــــمٌ ومُحْدثٌ فَقيهٌ وغُوثٌ قُلْ رَئيسُ الفَرَاسَة.

[1] المهاجر، المرجع السابق، ص 24.

[2] بوزيان، فجيج في عهد السعديين..، ص 89.

[3] خليفي، المرجع السابق، ص 52.

بهذه المكانة العلمية والصوفية المتميزة لسيدي الشيخ تمكن من نشر العلم، المعرفة، والسنة الصحيحة، حيث أخذ عنه الكثيرون خاصّة ملوك المغرب السعديون في عصره، كالسلطان أحمد المنصور[1]، إضافة إلى عدد من أبناءه كالفقيه الناصح الحاج أبو حفص والحاج عبد الحاكم[2].

بإضافة إلى العلامة سيدي الشيخ نجد -كذلك الإمام عبد الجبار الذي سخر لزاويته خزانة لجمع الكتب، وذلك لجذب المريدين والقُراء، وبالتالي المساهمة في نشر العلم والمعرفة مبادئ التعليم، وبذلك تحززت هذه الزوايا بكوكبة من العلماء والفقهاء والأدباء الذين وردوا للتدريس بها، وقد انحشرت على أبواب هذه الزوايا أعداد هائلة من الزوار والمريدين وطالبي العلم وسرّ الطريقة، الذين قدموا من كل الجهات للأخذ عنهم[3].

إلى جانب تلقين العلوم الشرعيّة وعلم التصوف اهتمت زوايا فجيج بتدريس علوم اللغة وآدابها، حيث عرفت فجيج خلال القرن الهجري العاشر، السادس عشر الميلادي (10هـ- 16م) حركة فكرية وإشعاع علمي مزدهرين، سواء في مجال النظم الأدبية أو في مجال النثر، ولعلّ قصيدة الشيخ التائية "الياقوتة" وقصيدته "الحضرة" وكلاهما من البحر الطويل لخير دليل على تطور النظم الأدبية، ومن أبرز الشعراء الذين برزوا في هذا المجال نجد: إبراهيم بن عبد الجبار وآخرون، وقد غطى هذا الشعر مختلف الأغراض المعروفة من مدح، وصف، رثاء، هجاء، غزل، طرديات وزهديات لتشمل -بذلك- كافة البحور؛ كالبحر الطويل، المتقارب، البسيط، الكامل،...الخ[4].

كما وجه الفجيجيون قسطا كبيرا من عنايتهم نحو حركة التأليف، وقصدوا من ذلك إلى تنشيط الحياة العلمية، من خلال تأليف الكتب وتوفير المصادر المساعدة للخريجين العائدين من الحواضر العلمية الكبيرة؛ كتلمسان، مراكش وفاس، وحين نقف أمام مؤلفاتهم نلاحظ أن أكبر اهتماماتهم كان منصبا على المادة العلميّة التي كانت تدرس في رحاب القرويين: فشرحوا مختصر خليل، رسالة ابن أبي

[1] المهاجر، المرجع السابق، ص ص 17 – 19.
[2] طواهرية، المرجع السابق، ص ص 58 – 59.
[3] المهاجر، المرجع السابق، ص ص 19 – 20.
[4] بوزيان، المرجع السابق، ص ص 89، 157.

زيد وصغرى السنوسي...وغيرها من الأصول المعتمدة في الفقه، إضافة إلى رسالة سيدي الشيخ في التصوف هي الأخرى دليل على تفوق سيدي الشيخ في مجال النشر، إضافة إلى مؤلفات أخرى نذكر منها: "مفيد الفوائد في خير العوائد" لأبو حامد الفجيجي، "شرح دلائل الخيرات" لإبراهيم بن عبد الجبار، و"مختصر جامع أحكام القرآن" لعبد الجبار بن أحمد[1].

ج- الدور السياسي:

بالإضافة إلى الدور الإجتماعي والتعليمي للزوايا بفجيج، كان دور سياسي، والذي تمثل أساسا في التربية الجهادية للمريدين من خلال الدعوّة للجهاد والحثّ عليه، وكذا في محاربة الأعداء الحاقدين على الإسلام والمسلمين، وهذا ما يتضح من خلال دور العلامة سيدي الشيخ في محاربته للإسبان في قطاع وهران ونواحيها، وكذا في الصراع الذي جمعه مع صهره ابن أبي محلي.

أمام المدّ الكبير والصيت العظيم لزاوية سيدي عبد القادر بن مُحَّد، اضطر حكام المغرب السعديون من الإستفادة من نفوذه، هذا ما يتضح جليّا لما استنجد به الأمير زيدان ابن السلطان أحمد المنصور السعدي في حربه التي دارت بينه وبين أخيه مُحَّد الشيخ، فكان تدخله –رحمه الله– سبباً في نجاته من الهلاك، وقصده مرَّة أخرى لتثبيت دعائم ملكه، فوقف سيدي الشيخ إلى جانبه ضدّ ثورة ابن أبي محلي، حيث أمر أهل المنطقة بمبايعته بفجيج.وقد التجأ الأمير زيدان إلى الزاوية الشيخية بوصفها الركيزة الأساسية المعتمد عليها من لدّن الدولة السعدية اقتناعا منه بقوّة نفوذها[2].

كما حاول بن أبي محلي الإستفادة من نفوذ صهره الشيخ سيدي عبد القادر، والذي كان – أي ابن أبي محلي– قد شاع في المغرب كله نبأ طرده من زاوية الشيخ مُحَّد بن مبارك الزعري على إثر افتضاح أمره فيما يخص انتحال التصوف[3]، وادعاءه أنه المهدي الفاطمي المنتظر، وزعم الانتساب

[1] بوزيان، المرجع نفسه، ص 207.

[2] المهاجر، المرجع السابق، ص 24.

[3] عبد المجيد القدوري.**ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت**، منشورات عكاظ، الرباط، 1991 م، ص 62.

إلى البيت العباسي[1]، ومناداته بالخلافة الإسلامية[2]، طمعاً في الوصول إلى السلطة، حيث حلّ ابن المحلي بفجيج حيث كان سيدي الشيخ عبد القادر بن مُحَمَّد[3].

وقد ساند أبا محلي في معاداته لسيدي الشيخ عدد من مثقفي ذلك الزمن، كان منهم من خارج فجيج شيخه أبو القاسم بن مُحَمَّد بن عبد الجبار[4] [5]، ممّا يفيد أن ابن أبي المحلي كان يتسابق مع الزمن للعثور على زاوية تأويه، وطريقة صوفية قويّة يستغل نفوذ صاحبها لتحقيق مشروعه السياسي، والمتمثل في اغتصاب الملك بعد وفاة أحمد المنصور السعدي، إلّا أن الشيخ سيدي عبد القادر قطع عليه الطريق، وذلك من خلال رفض مصاهرته (طلق ابنته منه)، خاصّة لما علم بسوء نيته، وادعائه المهدوية، وخروجه عن طاعة الأمير السعدي زيدان[6].

لما رأى ابن أبي المحلي بأنه لا سبيل في تحقيق طموحه السياسي على حساب زاوية سيدي الشيخ ونفوذه، لجأ إلى تأليف الدعايات، والإتهامات الكاذبة والتصريحات الفارغة، بينما سكت سيدي الشيخ سكوت الواثق من متانة بنائه وهشاشة خصمه، ومن أهم الإتهامات التي وجهها إليه نذكر: انحرافه عن طريق شيخه وأخلافه، محاولة اغتياله وتسميمه، كما اتهمه بالبدعة والزندقة وغيرها من الإدعاءات والأكاذيب الباطلة، محاولا بذلك صرف وجود الناس عنه – أي على سيدي الشيخ– وجلبهم إلى صفه بهدف دعم ثورته ضدّ الأمير زيدان، هذه الثورة التي أودت بحياته، حيث أصيب

---

[1] أبو العباس أحمد بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلي السجلماسي العباسي.**إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر**، دار الكتب المصرية، القاهرة –جمهورية مصر العربية، مخطوط رقم 431 أدب، الورقة 2.

[2] ابن المحلي، مهراس رؤوس الجهلة..، الورقة 10.

[3] المهاجر، المرجع السابق، ص 25.

[4] حوالي 920 – 1011هـ/ 1514 – 1602 م، عالم خليل، وشاعر نبيه ومتصوف، عالم سياسي محنك وقاضي ، ومفت واسع المدارك وأغزر آل عبد الجبار علما وتأليفا، وأكثرهم دورانا في صحائف المؤرخين وكتاب التراجم، تتلمذ على عدد من كبار الشيوخ، من تلاميذه نجد مُحَمَّد بن الزبير بن عبد الرحمان السجلماسي.بوزيان، المرجع السابق، ص ص 272 – 273.

[5] عيسى ميلاد.**الياقوتة**، تر عبد الكريم بن مُحَمَّد بن الطيب، المطبعة المركزية، وجدّة، 1986 م، ص 89.

[6] المهاجر، المرجع السابق، ص ص 25 – 26.

في نحره بأول رصاصة أطلقت في معركة كليز فأردته قتيلا، وقطع رأسه وعلق على سور مدينة مراكش[1].

من هنا نستنتج أن مهمّة الزوايا بقصور فجيج تكمن بالدرجة الأولى في إصلاح الأوضاع الإجتماعيّة السائدة في المنطقة، وكذا نشر العلم، المعرفة والحفاظ على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، والحفاظ على أرض الإسلام والمسلمين من خلال محاربة المفسدين في الأرض والدعوّة إلى الجهاد في سبيل الله.

[1] المهاجر، المرجع السابق، ص ص 25 – 27.

لقد كان لزوايا المغرب الإسلامي عامّة، وزوايا منطقة فجيج بالمغرب الأقصى خاصّة مصادر للعيش والتوسع، فإذا انقطعت تقلص نفوذ الزاوية، واعتراها الإنكماش والفناء، لذلك كانت زوايا فجيج حريصة كل الحرص على تحصيل المال بوسائل معلنة، تقليدية ومتجددة.وسنحاول فيما سيأتي أن نتعرف على مصادر تموين ووسائل تحصيل زوايا قصور فجيج خلال العهد السعدي.

رابعا: مصادر تموين الزوايا بفجيج

أ– الأوقاف:

تتمثل في أملاك، أحواش أو أراضي زراعية، حيث كانت الأرض تحرث وتزرع وتحصد ثمارها على يدّ سكان المنطقة أنفسهم، فهذا العمل عندهم يعتبر عمل مجاني لله، وتبركاً بشيخ الزاوية[1]، ومنها أراضي وقف تخصص لإقامة قاعات لتدريس القرآن وبناء المساجد، إضافة إلى العقارات، كالدكاكين، ومختلف المحلات التي تذهب أرباحها للزوايا[2]، فقد كان لزاوية عبد الجبار مجموعة أوقاف التي أوقفت لها كخراريب المياه، غلل الحقول، وأراضي الحراثة والتي تعهدها الطلبة بالخدمة، فكانوا يحرثون، يزرعون ويحصدون[3].

ب– الزيارات والهدايا:

نعني بها مختلف الهبات التي يأتي بها الزوار من عطيّة أو صدقة للزوايا وأصحابها، وهي خاصّة بكل فرد تابع للطريقة (إخواني)، فقد كان على كل من جاء للتبرك أو زيارة قبر الشيخ يأتي معه بمبلغ مالي أو يقدم عينا من كل نوع سواء كانت ملابس، مواد غذائية أو حيوانات مختلفة[4].

وهناك زيارات منظمة أو موسمية، والتي يحددها الشيخ أو المقدم حسب مواقيت جني المحاصيل، توالد الشياه، أوقات الزكاة، مواسم الزواج والأفراح، وتكون هذه الزيارات في هذه الحالة جماعية وما

[1] أبو القاسم، المرجع السابق، ص 284.
[2] راس مال، المرجع السابق، ص 89.
[3] بوزيان، واحة فكيك تاريخ وثائق وأعلام..، ص 155.
[4] أبو القاسم، المرجع السابق، ص 285.

يأتي منها من مبالغ مالية محددة لكل عائلة، عرش أو قبيلة، حيث كان يخرج المرابط أو الشيخ إلى القبائل التابعة للزوايا بقصور فجيج فيزورها ليعود إلى الزاوية محملا بكميات هائلة من الأصواف، السمن، الشياه، الحبوب، الثمار ومختلف المواد الغذائية[1].

ج- التبرعات:

تحدث في مواسم معينة، إذ يخرج مجموعة من الأشخاص باسم الزاوية، وبأمر من الشيخ لتحصيل المستحق على الأفراد أو الجماعات من الإخوان، كما تجمع التبرعات -كذلك- في حالة رجوع شيخ الزاوية من الحج أو إذا صحّ بعد مرض، أو في الحفلات التي كانت تقيمها الزوايا، فإن على الإخوان واجب التبرع وتقديم ما عليهم إلى شيخ الطريقة كل حسب استطاعته، ومن بين المناسبات التي تجمع فيها التبرعات نجدّ: الحضرة التي كانت تقام مرَّة أو أكثر من كل سنّة، الوعدّة، النذر، ميلاد الأولاد...ونحو ذلك[2].

كذلك من بين مصدر تموين الزوايا ما يعرف بالغفارة عند الشيخية، وهو تقليد قلمّا نجده في الطرق الصوفية الأخرّى، ونعني بالغفارة تلك الحيوانات والبضائع التي كانت تقدم للزوايا، والتي يعينها الشيخ سنويا، وهي في الواقع ضريبة دنيوية اتخذت صفّة دينية ومثالها: نعجة على كل خيمة أو ناقة وكيس من القمح أو التمر حسب ما يفرضه الشيخ على كل تابع[3]، وبعض هذه المدفوعات -أي الغفارة- تكون لتفادي حدوث الكوارث أو للحماية أو التبعية، بالإضافة إلى التقدير والإعتبار للشيخ[4].

كما كان شيوخ الزوايا بفجيج ينفقون على زواياهم من أملاكهم الخاصّة، وهذا ما نراه عند الزاوية الشيخية حيث كان الشيخ سيدي عبد القادر ينفق على زاويته من ماله الخاصّ، إذ كانت له

[1] خليفي، المرجع السابق، ص 54.
[2] أبو القاسم، المرجع السابق، ص ص 286 – 287.
[3] راس مال، المرجع السابق، ص ص 89 – 90.
[4] أبو القاسم، المرجع السابق، ص 287.

أملاك وعقارات عظيمة، وحسب ما جاء في بعض الوثائق أنه حبس جنان بني ونيف للإنفاق على زاويته حيث قال: "وفيه من أشجار الفواكه ما لا يحصّى ولا يعدّ"[1].

إضافة إلى مبالغ اعتبارية كانت تدفع للزوايا تدخل في الجاه والثروة والمكانة للدافع، ذلك أن الدافعين قد يكونوا من الموظفين البارزين، أو من رؤساء الأعراش وأصحاب الخيام الكبيرة، الذين يدفعون للشيخ من أجل الحماية المعنوية والعقيدة في البركة والدعم السياسي[2].

من خلال ما سلف ذكره نخلص أن الزوايا بقصور فجيج كانت تحتوي على مجموعة من المصادر والوسائل لتضمن استمراريتها، والتي كانت تنفقها في سبيل مساعدة الفقراء والمساكين واليتامى، وبفضل تلك الأوقاف، التبرعات، الزيارات والهدايا التي كانت تحصل عليها الزوايا استطاعت أن تساعد آلاف المحتاجين والمعوزين، وبالتالي ضمان استمراريتها وتوسيع نفوذها في كافة أقطار المغرب الإسلامي.

[1] طواهرية، المرجع السابق، ص 78.

[2] أبو القاسم، المرجع السابق، ص 289.

خاتمة

على ضوء ما تقدم عرضه نستنتج:

أن منطقة فجيج متكونة من سبعة قصور، وهي بمثابة القرّى الصغيرة الواقعة وسط واحة من النخيل، والتي يعود تاريخها إلى أحقاب غابرة في القدم، كما تدّل على ذلك مختلف الآثار والرسومات المنقوشة على الحجر، والتي تشهد على وجود الإنسان في هذه المنطقة منذ القدم.

إن الموقع الاستراتيجي لفجيج جعل منها مسرحاً للأحداث والصراعات على مرّ الزمان، إذ كانت تشكل نقطة التماس والاحتكاك بين سكان المنطقة الأقدمين والعناصر الجديدة النازحة في المنطقة-كقبائل صنهاجة، زناتة، بني معقل...وسواهم – والتي غالبًا ما كانت تحدث حول مسألة المياه، والذي يعتبر المصدر الأساسي للحياة بقصور فجيج، خاصّة وأن قلتها تشكل خطورة على أراضيهم الفلاحيّة والتي تسقى من هذه المنابع.

إن الموقع المتميز للواحة جعلها همزة وصل، وملتقى هام للطرق التجارية الرابطة بين الشمال والجنوب، وما بين الشرق والغرب، ما سهل على سكان فجيج النهوض باقتصاد متطور ومزدهر في جميع القطاعات (صناعة، نجارة، زراعة)، ما أدّى إلى ظهور وتبلور نشاطات اقتصادية جديدة في المنطقة، ومن ثمّ تفرغ أهل فجيج للعلم والمعرفة.

لقد كانت منطقة فجيج منذ الفتح الإسلامي مركز إشعاع فكري، حيث تعددت مراكز العلم بها، فبالرغم من تشبث سكان المنطقة بالكتاب والسنة، إلا وقد تكونت لديهم أعراف وأحوال وأعمال مستمدة بالدرجة الأولى من الأحكام الإسلامية، بالإضافة إلى عادات وتقاليد المنطقة وكذا ما يفرضه الوضع الجغرافي والإجتماعي، إذ لم يقتصر على المعاملات والديانات فحسب، بل تعدّى ذلك إلى إنشاء المؤسسات الدينيّة، ولعل من أبرزها الزوايا بنوعيها العلمية والصوفية، والتي قام بتأسيسها في أغلب الأحيان الشرفاء الأصل، والتي لايزال التعليم بها مستمر إلى يومنا هذا.

لقد كان للزوايا بفجيج أدوار متعددة في شتى المجالات منها :

– زاوية سيدي الشيخ والتي كان لها إشعاع علمي وصوفي كبيرين، نظرا لما عرف عن مؤسسها سيدي عبد القدر بن مُحَّد من تفقه في الدين، وحفظ للقرآن الكريم وباقي العلوم اللغوية والأدبية.

– زاوية عبد الجبار والتي أرسى معالمها الإمام عبد الجبار، والتي عرفت هي الأخرّى إشعاع علمي واسع، لما احتوته من مرافق عدّة والتي تتضح معالمها في خزانة الكتب التي احتوتها، ليشتهر صيت الزاوية في كافة أقطار المغرب الإسلامي.

لقد كان لهذه الزوايا بفجيج فضل كبير على تاريخ الحضارة الإسلامية، ومنّة عظيمة على سكان المنطقة سواء من جانبها الأدبي العلمي أو الجانب الاجتماعي والتربية الخلقية، فقد خلفت أدبا رفيعا وشعراً صادقاً بواسطة الأدباء والعلماء والمفكرين الأجلاء، كما نهض شيوخ الزوايا بتأليف كتب عديدة في مختلف المعارف الإسلامية، إضافة إلى مساهمة هذه الزوايا في الجهاد ومقاومة الأجانب، فقد كان أهل الزاوية يمسكون السبحة بأيديهم ويلبسون المرقعة على أجسامهم ويتوجهون إلى الله في عبادتهم، فإذا أقبل العدّو الحاقد على أرض الإسلام والمسلمين، أمسكوا السيف بدّل السبحة ولبسوا الدرع وتوجهوا للقتال في سبيل الله، وقابلوا العدّو بكل شجاعة وبسالة.

وقد اعتمدت الزوايا بفجيج لأجل ضمان استمراريتها وتوسيعها على وسائل للتحصيل ومصادر للتموين، فمعظمها كان لها أوقاف تتمثل في الأراضي الزراعية ومختلف العقارات التابعة للزاوية، بالإضافة إلى التبرعات، الزيارات والهدايا التي كانت تحصل عليها الزوايا في مواسم معينة كالحضرة وأوقات جني الثمار.

وعليه نستخلص أن الزوايا بقصور فجيج كانت تعدّ من أهم المراكز التعليمية بمختلف أشكالها وأنواعها، والتي كانت تحتل الصدارة بين مختلف مراكز التعليم في إعانة الفقراء والمعوزين، كمّا احتضنت اللغة العربية بفتح أبوابها لطلاب العلم والمعرفة، والتي كانت من أهم ما يميزها أنها ليست

كسائر الأمكنة والأبنية التي يطلق عليها اسم زاوية، فقد مثلت دور المسجد والمدرسة في آن واحد، وجمعت بين التربية الروحية، العلمية والعسكرية.

وخلاصة القول إن التعريف بفجيج وزواياها لا يزال في بدايته، خاصة وأن هناك أسئلة كثيرة مطروحة تنتظر منّا نحن كباحثين خاصّة، ومن المهتمين بتاريخ فجيج عامّة الإجابة عليها، وهذا ما يستلزم بالضرورة الإعتماد على مخطوطات ووثائق محليّة للإلمام بالموضوع أكثر.

فاتحة الملاحق

الملحق رقم 01 :[1]

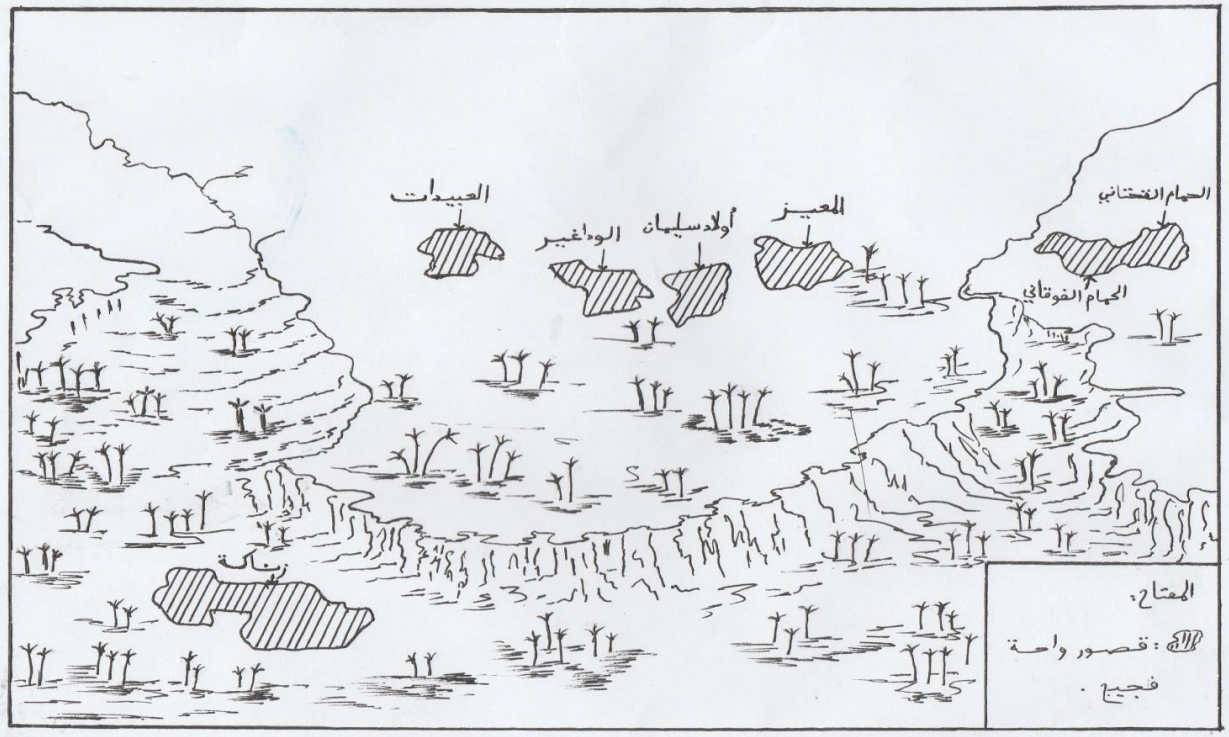

1 مزيان، المرجع السابق، ص 28.

الملحق رقم 02[1]

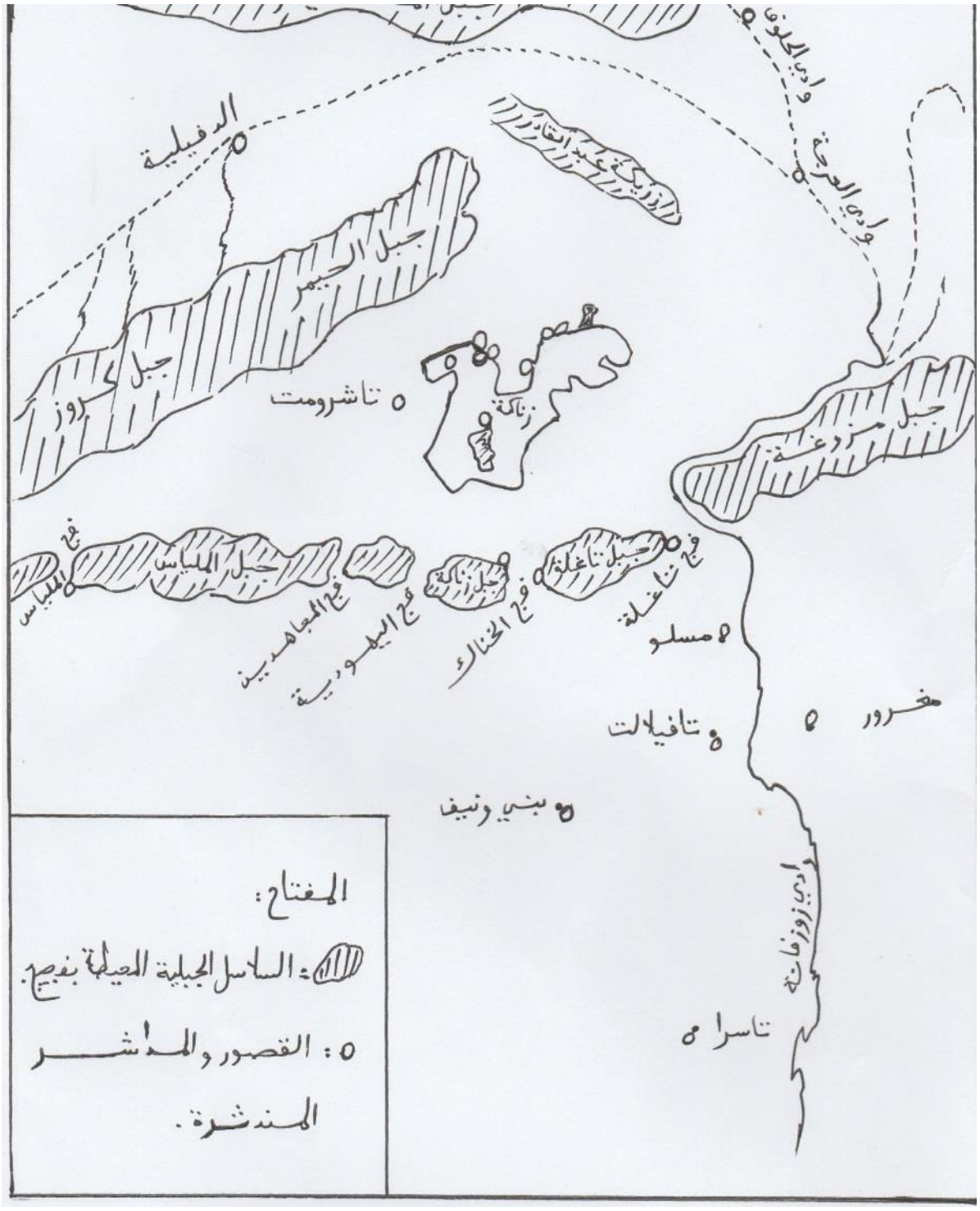

[1] مزيان، المرجع نفسه، ص 82.

الملحق رقم 03[1]

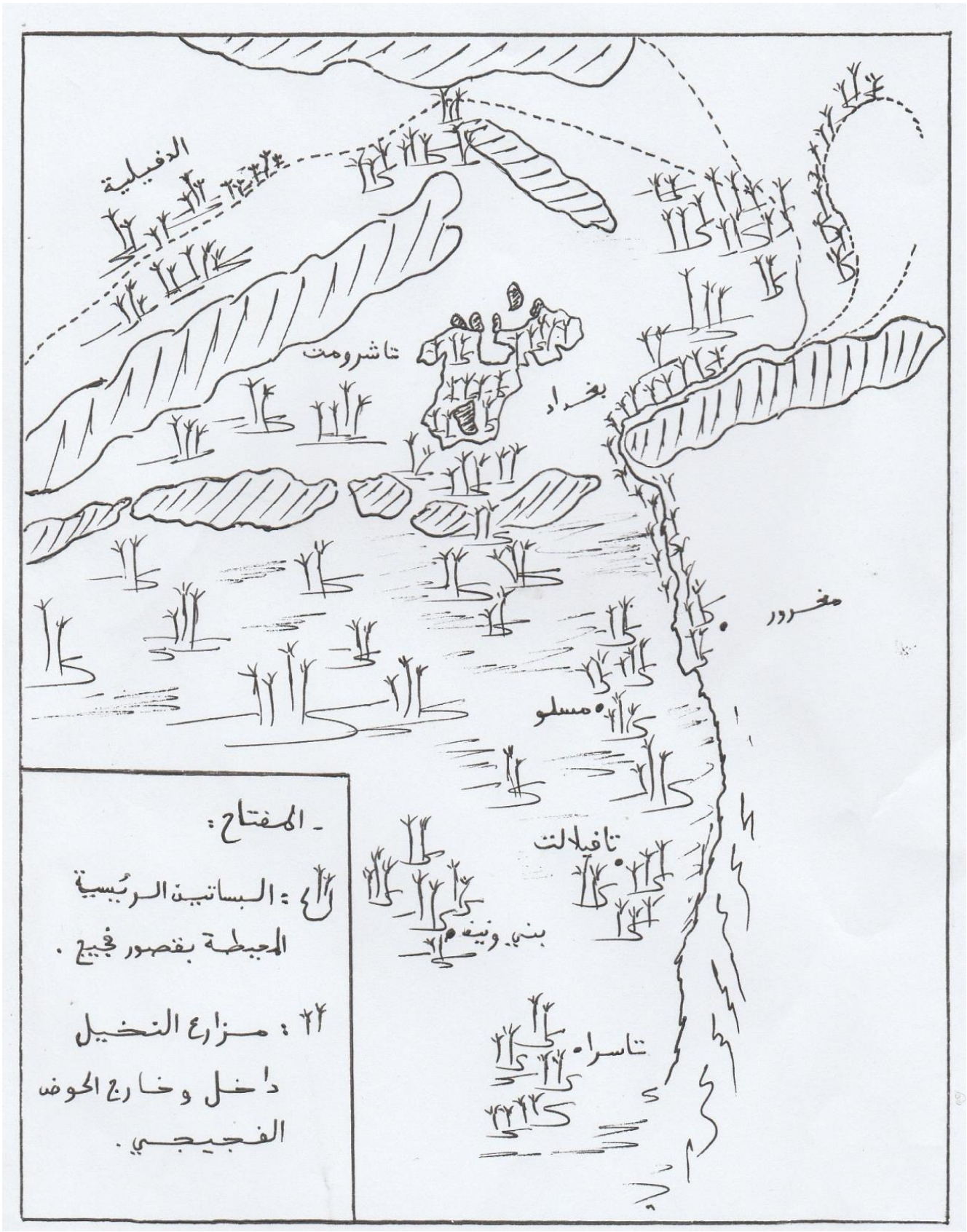

[1] مزيان، المرجع نفسه، ص 34.

قائمة المصادر والمراجع

القائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

1– المصادر العربية المخطوطة:

– ابن أبي محلي أبي العباس أحمد بن عبد الله ابن القاضي السجلماسي العباسي:

1– إصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر، دار الكتب المصرية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، مخطوط رقم 431 أدب.

2– منجيق الصخور لهدم بناء الشيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزنادقة، مخطوط رقم 338 ضمن المكتبة الوطنية، الرباط – المغرب.

3– مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس النفوس السفلة المنخدعة، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، مسجل تحت عدد ك 192.

2– المصادر العربية المطبوعة:

4– الأفراني مُحَمَّد صغير بن الحاج بن عبد الله، نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي، مطبعة بردين انجي، 1888م.

5– التليدي عبد الله عبد القادر، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط.4، دار الأمان، الرباط، 1424 هـ – 2003م.

6– الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج4، ط.2، دار صادر، بيروت، 1995م.

7– ابن الخطيب أبي عبد الله السلماني، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316.

8- ابن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6 وج7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1431هـ- 2000م.

9- الدين الحاج، مجموع رحلات رحلة الأغواطي في الشمال إفريقيا والسودان، تح أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

10- ابن أبي زرع علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

11- السكوني أحمد ابن أبي بكر الشريف الفجيجي، تقوية إيمان المحبين في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن مُحَّد ابن أبي سماحة، تح طواهرية عبد الله.

12- السملاوي العباس ابن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تح عبد الوهاب بن المنصور، ج2، ط.2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414 هـ- 1939م.

13- الشهرستاني أبي الفتح مُحَّد بن عبد الكريم ابن أبي أحمد، الملل والنحل، تح أمير مهنا وعلي حسن فاعود، ج1، ط.3، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1414 هـ- 1993م.

14- أبي عبد الله الشيخ مُحَّد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ابن أبي دينار)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط.3، دار الميسرة، بيروت- لبنان، 1933م.

15- العياشي أبو سالم عبد الله بن مُحَّد، الرحلة العياشية1661- 1663 م، تح وتق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج2، ط.1، دار السويد للنشر والتوزيع، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، 2006م.

16- القشتالي أبي فاس عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر مولانا الشرفا، تح كريم عبد الكريم، مطبوعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية.

17- مارمول كربخال، إفريقيا، تح مُحَّد حجي وآخرون، ج1 وج2 وج3، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط- المغرب، 1408- 1409 هـ/ 1988- 1989م.

18- مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تق وتح عبد الرحيم بنحادة، ط.1، دار تيمنل للطباعة والنشر، مراكش، 1994م.

19- مرزوق مُحَمَّد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح ماريا خيسوس بيغيرا، تق محمود آغا بوعيّاد، الموفم للنشر، الجزائر، 2011م.

20- مسلم بن عبد القادر، ذخائر المغرب العربي(تاريخ بايات وهران المتأخر) أو أنيس الغريب والمسافر، تح وتق بونار رابح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1394 هـ- 1974م.

21- المقديسي أبو عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م.

22- المقري أحمد بن مُحَمَّد، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط.2، المطبعة الملكية، الرباط، 1403هـ -1983م.

23- المناوي عبد الرؤوف، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوى الكبرى، تح عبد الحميد صالح حمدان، مج1، الأمل للطباعة والنشر، مصر.

24- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1 وج2 وج 5، تح وتع جعفر الناصري ومُحَمَّد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء، 1418 هـ- 1997 م.

25- الناصري أبي راس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح بوركبة مُحَمَّد، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012م.

26- الوزان حسن بن مُحَمَّد الفاسي(ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تر مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، ج1 وج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1983م.

27- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف حجي مُحَمَّد، ج12، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط، 1401 هـ-1981م.

28- اليوسي حسن، المحاضرات في الأدب، تح وشرح مُحَّد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ج1، ط.2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1402هـ- 1982م.

3- المراجع العربية المطبوعة:

29- أرزقي فراد مُحَّد، الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلي الزواوي 1866- 1952، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م.

30-ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر مُحَّد علي عامر، ط.1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1409هـ-1989م.

31- أمين بك واصف، الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تح أحمد ذكر باشا، دار المصرى للطباعة، مصر، 1916م.

32- بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

33- بحري أحمد الجزائر في عهد الدايات دراسة للحياة الإجتماعية إبان الحقبة العثمانية، ج1، دار الكفاية، الجزائر، 2013م.

34- بطاش علي، لمحة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد وثورة 1871م، ط.2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

35- بنت عبد الله ليلى، الصوفية عقيدة وأهداف، ط.1، دار الوطن للنشر، الرياض، رمضان 1410هـ.

-بنعلي بوزيان مُحَّد:

36- واحة فكيك تاريخ وثائق وأعلام، مؤسسة بنشرة للطباعة النشر، الدار البيضاء، 1407هـ/1987م.

37- فجيج في عهد السعديين-السياسة والثقافة والمجتمع، طبعة الجسور، وجدّة، 2005م.
38- أعلام الفكر والأدب بين العصريين المريني والعلوي، ط.1، دار الجسور، وجدة، 2000م.
بودواية بلحيا، التصوف في بلاد المغرب العربي، ط.1، دار القدس للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
39- بوعنتو بشير، التصوف في الجزائر دراسة وصوفية تحليلية للطرق الحبيبية والهبرية والرحمانية والأويسية، ج1 وج2، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م.
40- البوناني أحمد، التصوف في الجزائر خلال القرن 6 و7/ 12 و13 الميلاديين نشأته- تياراته- دوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2004م.
41- جابر أبو بكر الجزائري، إلى التصوف يا عباد الله، دار البصيرة، الإسكندرية، 1404هـ- 1990م.
42- جاد الله منال عبد المنعم، التصوف في مصر والمغرب، نشأة المعارف، الإسكندرية.
43- جرار كفاح، زوايا ثائرة من اللوح والقلم إلى البندقية، ط.1، منشورات الأنيس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2012م.
44- الجعفري مبارك بن الصافي، العلاقات الثقافية بين توات والسودان العربي خلال القرن 12هـ، ج1، ط.1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 1430هـ- 2009م.
- حجي مُحَمَّد:
45- الحركة الفكرية بالمغرب الأقصى في عهد السعديين، ج2، مطبعة فضالة، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة، شوال 1398هـ-سبتمبر 1978م.
46- الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، 1384هـ-1964م.
47- حسن حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي الديني والثقافي والإجتماعي، ج4، ط.4، مكتبة النهضة المصرية، 1967م.

-حسني عبد المنعم القاسمي:

48- الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط.1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1427هـ-2013م.

49- أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى (دراسة إحصائية تحليلية)، ط.1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 1434هـ-2013م.

50- حفاجي مُحَّد عبد المنعم، الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، القاهرة.

51- الحفناوي أبي القاسم مُحَّد، تعريف الخلف برجال السلف، وج2، مطبعة بيير قوفتانة الشرقية، الجزائر، 1324 هـ- 1906م.

52- حوتية مُحَّد صالح، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، 2007م.

53- خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين6 و9هـ 12 و15م - دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

54- خليفي عبد القادر، الطريقة الشيخية، ط.2، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 2010م.

55- ديب صفية، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين بين القرن 6 و7هـ الموافق لـ 12 – 13م، مؤسسة كنوز المحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

56- راس مال عبد العزيز، الزوايا والأصالة الجزائرية بين التاريخ والواقع (دراسة انتروبولوجية حول صحراء تلمسان وأطرافها)، ج2، منشورات تالة، الأبيار- الجزائر، 2011م.

57- رباجي عبد القادر، الإمام المغيلي عمره وحياته- دراسة تاريخية تحليلية وتوثيقية، ج1، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.

58- الزواوي أبو يعلي، تاريخ زواوة، تع بوراي إسماعيل، مطبعة الديوان، الجزائر، 2007م.

59- بن زيدان عبد الرحمان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1381هـ- 1961م.

60- شهيبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي للجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

61- شيمل آناماي، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، تر مُحَمَّد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، ط.1، منشورات الجمل، بغداد، 2006م.

62- ضريف مُحَمَّد، مؤسسة الزوايا بالمغرب،ط.1، منشورات المجلة المغربية لعلم الإجتماع السياسي، 1992م.

63- الطريبق أحمد أحمد، الكتابة الصوفية في أدب التستاوي 1045- 1127هـ، ج3، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة إليت، المملكة المغربية، 1424- 2003.

64- طواهرية عبد الله، تذكرة الخلان في مناقب العلامة الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة البكري الصديقي المتوفى سنة 946هـ- 1540م دفين بني ونيف، المطبعة العربية 11 نهج طالبي أحمد، غرداية، أدرار، 2002م.

65- عبد الله عبد العزيز، معلمة التصوف الإسلامي، ج1 وج2، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، 2001م.

66- العبده مُحَمَّد وعبد الحليم طارق، الصوفية نشأتها وتطورها، دار الأرقم، الكويت.

67- العشماوي أحمد بن مُحَمَّد، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب، المطبعة الخلدونية، تلمسان، 1381هـ- 1961م.

68- العقبي صالح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت- لبنان، 2002م.

69- علالي محمود، الحركة الإصلاحية في الأغواط، تق بوعزة بوضرباسة، وزارة الثقافة، 2008م.

70- علوي حافظي حسن، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1418هـ -1997م.

71- عميراوي احميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ط.2، دار الهدى للطباعة والنشر، 1427هـ-2007م.

72- غريب كمال، المساجد والزوايا في قسنطينة الأثرية، ذاكرة الناس للنشر، الجزائر، 2011م.

73- غريب مأمون، أبو الحسن الشاذلي حياته- تصوفه- تلاميذه وأولاده، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ- 1994م.

74- فويال سعاد، المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2010م.

75- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية عمرانية إجتماعية ثقافية، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الموفم للنشر، الجزائر، 2007م.

-أبو القاسم سعد الله:

76- تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الهجري 16- 20م،ج1 وج4، ط.2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

77- الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900، ج1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 2000م.

78- القاسم مُحَمَّد عبد الرؤوف، الكشف عن الحقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ط.1، دار الصحابة، بيروت- ابنان، 1408هـ-1987م.

79- القدوري عبد المجيد، ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الإصليت الخريت، منشورات عكاف، الرباط، 1990م.

80- كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، ط.2، دار البيضاء، الرباط، المملكة المغربية، 1427هـ- 2006م.

81- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة العمرية، الجزائر، 1354.

82- مريوش أحمد وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

83- مزيان أحمد، فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845 - 1903)، مطبعة فجر السعادة، 1988م.

84- المهاجر أحمد، أضواء على الطريقة الشيخية.

85- مياسي إبراهيم، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

86- ميلاد عيسى، الياقوتة، تر عبد الكريم بن مُحَّد بن الطيب، المطبعة المركزية، وجدة، 1986م.

87- هلالي العربي، فجيج تاريخ وثائق وأعلام- المسجد العتيق والصومعة الحجرية بفجيج، المطابع المغربية والدولية، شارع الرباط، طنجة، محرم- أكتوبر 1981م.

88- يسلي مقران، الحركة الإصلاحية والدينية في منطقة القبائل 1920- 1945 م، دار الأمل، الجزائر، 2007م.

4- المراجع الفرنسية المطبوعة:

89- Louis Rinn, Marabouts et Khoans Etude sur L'islam en Algérie, jourdan, Alger, 1884.

90- Depont Octave et Coppolani Xavier, Les Confréries Religieuses Musulmanes, Imprimeur-Libraire-éditeur, Alger, 1897.

5- المعاجم والقواميس:

91- شامي يحي، موسوعة المدن العربية الإسلامية، ج1، ط.1، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، 1993م.

92- الشرقاوي حسن، معجم ألفاظ الصوفية، ط.1، مؤسسة مختار النشر والتوزيع، القاهرة، 1987م.

93- العجم رفيق، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط.1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، 1999م.

94- عفيفي عبد الحق، موسوعة ألف مدينة إسلامية، ط.1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2000م.

95- نويهض عادل، معجم ألفاظ الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،ط.2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة للنشر، بيروت- لبنان، 1400هـ-1980م.

6- الدراسات الأكاديمية:

96-بلة لحسن وبن دحان حمزة، التصوف والزوايا في إقليم توات- زاوية سيدي أحمد ديدي دراسة نموذجية، مذكرة تخرج لنيل شهادة أستاذ التعليم الثانوي، إشراف بوطان مبارك، قسم التاريخ والجغرافيا، بوزريعة، 2007- 2008م.

97-بودريعة ياسين، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث، إشراف غطاس عائشة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإجتماعية الإنسانية، جامعة ابن يوسف بن خدة، 2006-2007م.

98-تراسول أبو الخير، التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربع منه، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، تخصص العقيدة، إشراف عبد العزيز بن عبد اللطيف المرشدي، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1423هـ- 2002م.

99-تومي حدة، المنهج التربوي للعلامة سيدي الشيخ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم النفس التربوي، إشراف إبراهيم ماحي، قسم علم النفس وعلوم التربية، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة وهران، 2012- 2013م.

100-حرمة خير الدين، الدور الديني والإجتماعي والثقافي للطرق الصوفية بإقليم توات خلال القرنين 11-12 هـ (17-18م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، الإشراف شترة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة المسيلة، 2012- 2013م.

101- بن عميرة مُحَمَّد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف نشيدة رافعي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 1429 -1430هـ/ 2008 - 2009م.

102- لطرشي سميرة، إسهامات الزوايا الرحمانية في الحركة الوطنية خلال القرن 19م- زاوية الهامل وبعض زوايا بسكرة نموذجا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف مقلاتي عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة المسيلة، 2012- 2013م.

103- بن مصطفى زهيرة، المؤسسات الثقافية والتعليمية بالجزائر خلال العهد العثماني 1815-1830، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف عبد الرحمان بالأعرج، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، تيارت، 1433-1434هـ/ 2012-2013م.

104- بن موسى جميلة، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن الثالث إلى الخامس الهجري (9هـ – 11م)، بحث لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف إبراهيم الفخار، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001م.

105- ياحي مختارية وميدون يمينة، الطريقة القادرية ودورها في المقاومة الشعبية خلال القرن 19م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف حباش فطيمة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة ابن خلدون- تيارت، 2014-2015 م.

7- الدوريات:

106- بودواية مبخوت، الزاوية الشيخية دورها الديني والعسكري (1875- 1908)، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، طبعة خاصة، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

البسملة

كلمة شكر وعرفان

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ- ح

الفصل التمهيدي: ماهية مؤسسة الزاوية

أولا: التعريف بمؤسسة الزاوية.....11

ثانيا: أصل الزاوية ونشأتها التاريخية.....17

ثالثا: دور ونشاط مؤسسة الزاوية.....20

رابعا: الهيكل التنظيمي لمؤسسة الزاوية.....24

خامسا: نظام الزاوية كمؤسسة تعليمية.....30

الفصل الأول: قصور فجيج جغرافيا وتاريخيا

أولا: فجيج جغرافيا.....36

أ- التسمية والموقع.....36

ب- مظاهر السطح بواحة فجيج.....38

ج- المناخ والنبات بقصور فجيج.....40

ثانيا: فجيج بشريا.....42

– التركيبة السكانية لقصور فجيج.....42

ثالثا: فجيج تاريخيا.....46

أ– قصور فجيج في الفترة القديمة.....46

ب– فجيج منذ الفتح الإسلامي إلى غاية القرن 10 هـ– 16 م.....47

رابعا: الحياة الإقتصادية بقصور فجيج في عهد السعديين.....53

أ– الزراعة وتربية الحيوانات.....53

ب– التجارة.....55

ج– الصناعة.....57

الفصل الثاني: الزوايا بفجيج خلال القرن العاشر الهجري– السادس عشر الميلادي

(10هـ 16 م)

أولا: النبذة في حياة مؤسسي الزوايا بقصور فجيج.....62

أ– عبد القادر بن مُحَمَّد والمعروف بسيدي الشيخ.....62

ب– الإمام عبد الجبار الفجيجي.....70

ثانيا: أهم زوايا فجيج خلال القرن 10 هـ –16 م.....75

I. الزوايا الصوفية "زاوية سيدي الشيخ أنموذجا".....75

1– تأسيس زاوية سيدي الشيخ.....75

2– الطريقة الشيخية.....77

3- سند الطريقة الشيخية.....78
4- أوراد الطريقة الشيخية.....78
5- المنهج التربوي للطريقة الشيخية.....80
II. الزوايا العلمية "زاوية عبد الجبار أنموذجا".....81
1- تأسيس زاوية عبد الجبار.....81
2- خزانة زاوية عبد الجبار.....82
3- إسهامات العلماء بزاوية عبد الجبار.....83
4- العلوم المدرسة بزاوية عبد الجبار.....85
ثالثا: أدوار الزوايا بقصور فجيج.....86
أ- الدور الإجتماعي.....86
ب- الدور التعليمي.....87
ج- الدور السياسي.....89
رابعا: مصادر تموين الزوايا بفجيج.....92
أ- الأوقاف.....92
ب- الزيارات والهدايا.....92
ج- التبرعات.....93
خاتمة.....96
الملاحق.....99
قائمة المصادر والمراجع.....103
فهرس الموضوعات.....116